الدوافع الإيديولوجية والديموغرافية والاقتصادية لعملية طوفان الأقصى في 7/10/ 2023
بحث في الجغرافية السياسية

The Ideological, demographic and economic Motifs to Alaqsa Flood Operation 7l 10l 2023:
A Research in the Political Geography

م.د جواد صالح مهدي النعماني

Dr. Jewad Salih Mehdi Al Nu'mani

milyf52061@gmail.com

مدرس في مديرية تربية كربلاء

07800684331

المقدمـة:

في 2023/10/7 بدأت حركة المقاومة الفلسطينية (حماس) هجوما نوعيا ضد القواعد والمستوطنات الإسرائيلية على محيط قطاع غزة, وقد شكَّل الهجوم منعطفًا نوعيا وذا دِلالات استراتيجية في تاريخ الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي, كما استتبع توترات وأزمات إقليمية تهدد بتحوَّلات موازين القوى على الخريطة الجيوسياسية للمنطقة.

وبينما جادل البعض بمجيئ الهجوم في سياق توترات وتحالفات إقليمية ودولية, فإن تاريخ من الصراع وحجم التغييرات في الخريطة الجيوسياسية لفلسطين, تؤكد ضرورة البحث في البيئة الداخلية والظروف المحيطة التي تولّدت عنها عملية طوفان الأقصى, وبالتالي عن تصوّرات مغايرة وعدَّها مرحلة متقدمة لصراع أمتد على مدى قرن ونيَّف من الزمان, ونضوج تكتيكي لتأريخ من الصراع الجيوسياسي على الحيز الجغرافي لفلسطين وهُويّته وموارده الطبيعية وحاليًا على الحق في الوجود والاستمرار في البقاء.

إذ لم تنفك إسرائيل منذ قيامها عام 1948 أن تفرض واقعا جيوسياسيا مخططا وممنهجا, بدأته بالاستيلاء على الأراضي الخصبة ومصادر المياه ومنذ الثمانينيات على مصادر الطاقة من النفط والغاز الطبيعي، ومن ثمَّ فإن فشل اتفاقات أوسلو بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية, وتقويضها بما يخدم إسرائيل ويمنحها غطاء للتوسع على مزيد من الأراضي وإدارة مواردها وتوجيهها لخدمة المستوطنين, وبالمقابل خلق الظروف الطاردة لتفكيك المجتمع الفلسطيني وسلبه أية إمكانات لوحدة اجتماعية أو جغرافية.

المستخلص:

لاتزال فلسطين نموذجا حاضرا للاستعمار الاحتلالي الذي مارسته اوروبا منذ القرن السادس عشر, وحيث أنه كذلك فقد اعتمدت الحركة الصهيونية والقوى الداعمة لها مبدأ إحلال المستوطنين الجديد مَحل السكان الأصليين. وإذما قطعنا النظر عن الأهمية الجيوسياسية لموقع فلسطين عند ملتقى قارات العالم القديم, وفي قلب العالم العربي والإسلامي؛ وأبعاد ذلك كدوافع جيوسياسية لقوى الاستعمار تجاه المنطقة, فحينئذٍ يتوجه البحث في فَهم الطبيعة المتجددة لذلك الصراع وأدواته ودوافعه في ثلاثة اتجاهات: اتجاه يتمثّل بالصراع الديموغرافي الجيوسياسي, أي الموجه للسيطرة على الأرض. وثان باتجاه تهويد الأرض وتغيير هُويتها بتفريغها من سكانها أو بتحقيق أغلبية يهودية تذوب معها بقية القوميات والهُويات الاجتماعية. وثالث باتجاه السيطرة على الموارد الطبيعية وتوجيهها بما يدعم الكيان من جهة, ويسلب السكان الأصليين القدرة واقتصاد الأرض من جهة أخرى.

وقد انتهى بحث هذه المتغيرات إلى مَيل ميزان القوى الديموغرافية على الأرض لصالح إسرائيل, إذ نجحت الصهيونية مدعومة ببريطانيا وبغطاء دولي على تنظيم موجات كبيرة لهجرة اليهود من أنحاء العالم إلى فلسطين, ثم التوسع لاحقًا بممارسة عمليات القتل والتهجير القسري للسكان العرب, لتحقيق مجالًا جغرافيًا تمهيدا لتحصيل قرار أممي يعترف بتشكيل دولة الكيان الجديد على مساحة (56%) من إجمالي مساحة فلسطين.

وأيضًا إلى نجاح الحركة الصهيونية بتسيس البعد الديني – والتاريخي لليهود, وبعبارة أخرى استخدام الإيديولوجية الصهيونية محركا ودافعًا رئيسا للصراع, وللاستمرار بتغذية الشعور القومي لليهود وتأطير سياساتهم وطبيعة علاقاتهم بالأرض وبالغير, ولاتزال أفكارا مثل: الوعد الإلهي والحق بالأرض تشكل منطلقات أساسية لاتزال تحكم وحدة السياسات الإسرائيلية وطبيعة العلاقات التي تحكمها في صراعها مع الفلسطينيين. من ثمَّ فقد شكّلت الأراضي الزراعية ومصادر المياه ومنذ الثمانينيات مصادر الطاقة دوافعا جيو اقتصادية لتجدد الصراع.

عطفا على ما تقدم يمكن فَهم عملية طوفان الأقصى في 2023/10/7, بكونها استجابة طبيعية بل ردَّة فعل حتمية وخيارا راجحا إن لم يكن أوحدا في مواجهة ذلك الواقع أو محاولة تعديله على الأرض, ونضوجا تكتيكيا لسلسلة من الانتفاضات المسلحة منذ عام 2000.

الكلمات المفتاحية

الدوافع الجيوسياسية, الصراع الديموغرافي, هُوية الأرض, الموارد الطبيعية.

Abstract:

Palestine was and is still the axis of the Palestinian- Israeli conflict on the land. It is a present sample of occupation colonization that Europe practiced since the sixteenth century. It is displacement for it adopts the principles of replacing the new settlers of the immigrants Jewish in place of the original population if we exclude the Palestinian geopolitical significance to the intersection of the old world continents and in the heart of Arabic and Islamic world and its influence as geopolitical motifs of colonization powers towards the region and Palestinian in particular. Then, the research tries to understand the innovated nature of that conflict and its potential motifs that relates to population variable in three directions. The first is the demographic conflict to control over the land and to dominate the whole Palestinian geographical region. The second is to Judaise the land and change its identity by emptying it from its people or by gathering a Jewish majority that other nations and social identities of the original population melt. The third is to control over the natural resources of Palestine land and to direct them in a way that support the new entity from one side and confiscate the original population earth economy, and the ability to resist and continue from the other side.

Through searching these variables, the researcher reached to tendency of demographic powers on earth to the benefit of Israel. Zionism that supported by great Britain and by international cover succeeded in organizing big waves for Jewish immigration from all over the world and settle them in Palestinian land, and later by spreading of killing operations and compulsory immigration of Arab population in order to achieve geographical zone so as to get a United Nation resolution that admit forming the new state entity over 56% of the Palestinian land.

The researcher also concluded that the Zionist movement succeeded in politicizing the religious- historical Jewish dimension and its use as a basic operator and a main motif to push Jewish towards Palestine, then by feeding Jewish national feeling, and forming their policies, nature of their relations with the earth and with other societies excluding Jewish with thoughts such as divine promise and Jewish divine right in Palestine rather than others which formed principal starting points that still rule these policies and the nature of relations that govern the Palestinian-Israeli conflict.

Finally, the natural resources especially agricultural lands, permanent water resources, and later oil and gas formed economic motifs to raise forces on earth and renew the conflict. Since Israel adopts one policy towards these variables of the religious national political doctrine towards the Palestinian people in confiscating their land and in its settlement and their right in its natural resources, one can understand that Alaqsa operation in the seventh of October 2023 as a desire for survival and a typical response against these policies and their national and historical starting points.

Key words:
Geopolitical motives, demographic conflict, land identity, natural resources

مشكلة البحث:

1 – ما الأسباب الداخلية الدافعة باتجاه عملية طوفان الأقصى في 2023/10/7؟ وكيف مثّلت الصراعات الإيديولوجية والديموغرافية والاقتصادية أسبابا رئيسة باتجاه تجدد الصراع؟

2 – كيف أدت سياسات إسرائيل والتحوّلات الجيوسياسية إلى خلق الظروف والبيئة الداخلية الدافعة باتجاه استمرار وتجدد الصراع وتطور أساليبه وأدواته؟

فرضية البحث:

1 – تعد عملية طوفان الأقصى ردَّة فعل طبيعية واستجابة نوعية ونضوج تكتيكي للصراع الجيوسياسي بأبعاده الإيديولوجية والديموغرافية والاقتصادية الذي تمارسه إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني لأكثر من قرن من الزمان.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى أثبات أن ثمَّة أسبابا داخلية ومتغيرات جيوسياسية تشكل جوهر الصراع الجيوسياسي الفلسطيني – الإسرائيلي, وهي ذاتها تدفع باتجاه تجدد وتطور الصراع.

من ثمَّ فالباحث لا يدعي فصل الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي عن بيئته الإقليمية والدولية, أو عدم تأثُره بالتحوَّلات الجديدة في الخريطة الجيوسياسية للمنطقة, وإنما يهدف إلى الكشف عن دور إسرائيل في إفشال أية فرصة للتعايش السلمي, وأنها لاتزال تعتمد ذات المنطلقات الفكرية والإيديولوجية السياسية الهادفة للقضاء على أية وحدة سكانية أو جغرافية للشعب الفلسطيني, وأن ثبات العقيدة السياسية الاستيطانية: "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض" قد قوَّضت فرص الفلسطينيين بالحل وحددت خياراتهم بالمقاومة المسلحة.

اولًا: الايديولوجية الصهيونية

يكشف الخطاب السياسي لإسرائيل والقوى الغربية الداعمة لها أثناء عملية طوفان الأقصى, عن عقيدة سياسية وعسكرية ملغمة بالعنصرية وتبريرات معاداة السامية. ويضعنا أمام حقيقة أن فهم ظاهرة الصراع وأسبابه ومالاته يقتضي العودة إلى الأطر الدينية والتاريخية لتلك العقيدة, وكيف أسهمت بتشكيل النسق العام الذي تتحرك من خلاله إسرائيل سياسيا واجتماعيا واقتصاديا, وأن فهم عملية ما والتبوء بمستقبلها لا يكون إلَّا بالنظر إليها ضمن البنية الفكرية للصراع الجيوسياسي ليس على الأرض فقط وإنما هُويتها التاريخية والثقافية ومَن له حق البقاء فيها.

وتاريخيا لم تكن فكرة استعمار فلسطين أو مغالطة "العودة إلى أرض الميعاد" أو "مملكة الرب" من ابتكارات الصهيونية وإن سيّستها, وإنما هي حاضرة في الوجدان اليهودي متجددة في طقوسهم وعباداتهم, وحجتهم في ذلك مغالطة تاريخية – دينية.

وعلى الرغم من أن فلسطين التاريخية كانت مركزاً للعديد من الهجرات وموطنا لتعدد الشعوب والحضارات، استوطنتها القبائل السامية الكنعانية العربية لألفين قبل الميلاد, وتمكنوا من تأسيس ثقافة بحرية مستقرة ومتميزة[1].

بحلول الألفية الأولى قبل الميلاد استوطنها العِبرانيون فأنشأوا مملكة آلت إلى مملكتين: إسرائيل وقد دمرت على يد الآشوريين (721ق.م), ويهوذا ككيان سياسي دمر أيضًا على يد البابليين (587ق.م). ثم توالت الغزاة عليها من الفرس واليونانيين ثم الرومان والبيزنطيين منذ (141م).

بحلول (141م) دخلها المسلمون فباتت مذ ذاك عربية مسلمة على الرغم غزوها من قِبل كيانات إسلامية غير عربية كالسلاجقة والمماليك منذ اوائل القرن الحادي عشر إلى اوائل القرن السادس عشر تخللهما احتلال صليبي للمدة بين (1098 - 1291)[2]. ثم احتلال عثماني منذ عام 1516 وحتَّى نهاية الحرب العالمية الأولى[3].

قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى تقاسمت بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية سايكس بيكو عام 1916 المناطق العربية المحتلة من قبل العثمانيين, فاحتلت فرنسا كل من سوريا ولبنان, واحتلت بريطانيا فلسطين في 1917/10/31 مُنهيةً بذلك (1400) سنة من الحكم الإسلامي, ثم الانتداب عليها رسميا عام 1922 ولمدة (29) عاما[4].

يتضح من هذه اللمحة التاريخية: إن اليهود قد استوطنوا فلسطين في مرحلة مبكرة من تاريخها الحضاري, غيَّر أن ثبوت هذه الحقيقة شيء وأحقيتهم فيها شيء آخر لِسبقهم بالحضارة العربية الكنعانية ولحوقهم بالحضارة العربية الإسلامية لقرون متمادية. نعم إن هذه الحقيقة تشكَّل منعطفًا فكريًا في تاريخ اليهود, إذ مثّلت الحالة الوحيدة والشاذة من التاريخ التي تمكن اليهود خلالها من إقامة مملكة سياسية في جزء من فلسطين على طول تاريخهم الحضاري.

منذ ثمانينيات القرن التاسع عشر خضعت هذه الحقيقة التاريخية للإيديولوجية الصهيونية, وتم تسيسها لإيجاد ملاذ آمن خارج أوروبا في ظل معادة السامية الصاعدة في روسيا وشرق أوروبا, أما فكرة إقامة دولة في فلسطين فلم تتطور إلَّا في تسعينيات ذات القرن في كتاب تيودور هيرتزل (الدولة اليهودية) عام 1896, بعد أن طوَّر فكرة استعادة الدولة اليهودية القديمة, ومثلما كانت الفكرة غير تقليدية في تطورها خارج المنطقة الموجهة إليها، كانت غير تقليدية أيضا بتوجيه يهود العالم كأمة تاريخية ذات حق في إقليم جغرافي, أسهم البُعد التاريخي والاستعماري للقوى الداعمة بتحديده في فلسطين[5].

ومع تصاعد معاداة السامية في أوروبا أواخر القرن التاسع عشر, قدمت الصهيونية فكرة العودة كحل منطقي ووحيد "لبعث إسرائيل في أرض اجدادهم حيث تستطيع الأجيال 000 أن تحيا حياة قومية عادية" أو تبقى فتواجه الفناء الكامل بالاندماج أو المذابح.

من ثمَّة فإن ثمّة رؤية حضارية وتاريخية قدمها المؤرخ الروسي سيمون دوفنوف (1860 – 1914) على أن اليهودية قومية تاريخية روحية لا تستند في وجودها إلى دولة أو أرض وإنما

لتاريخ وإرث حضاري, ووحدة بين الأقليات ميَّزتها عن سِواها من المجتمعات على الرغم من تعددها وتباين ظروفها الجغرافية وأحوالها التاريخية[6].

وهذه الرؤية وأن فسّرت إلى حد ما الوضع الفريد لليهود بين الأمم والشعوب, من الانعزال الاجتماعي والاستقلال الحضاري في جيوب استيطانية, وبما يجعل من وجودهم في الشتات ليس انحرافا عن الاتجاه العام لتاريخ اليهود. إلّا إنها لا تقدم تفسيرا لهذه السلوكيات أو الأسباب المنطقية الدافعة لها أو مدى ملاءمتها للطبيعة الإنسانية والمجتمعية أو السياسية للدولة المعاصرة.

ولأن البعد الديني أكد في تحيّز الجماعة وأشد في تحديد هُويتها كان لابد من الأسطورة الدينية لتحويل الفكرة المجردة إلى هدف والاستيطان إلى فعل مقدس بالعمل في اتجاهين: اتجاه يؤكد دعم أوروبا لفكرة العودة دينيا متمثّلًا بـ(الصهيونية المسيحية) منذ القرن السادس عشر, ومطالبها بعودة اليهود إلى أرض الميعاد حتّى تتسنى هدايتهم وتنصيرهم؛ وسياسيا بدمج هذه الحركة بالإمبريالية منذ القرن التاسع عشر تحديدا في بريطانيا مدفوعة بظهور "المسألة اليهودية" في شرق اوروبا, وحقيقة هذا الاتجاه دعم الأسطورة الدينية للاستعمار الاستيطاني, حيث موقع فلسطين في قلب النفوذ العثماني وعقدة النقل والامدادات إلى الهند وجنوب شرق آسيا. اتجاه ثانٍ: تمثّله الرؤية الصهيونية للديانة اليهودية في "أن الدين اليهودي يمكن أن يسهم في بلورة الروح القومية للشعب اليهودي". وبعبارة أخرى: استخدام النصوص الدينية من التوراة والتلمود "لتقوية الشعور الجماعي" للجماعات اليهود ودفعهم للهجرة إلى فلسطين, وإضفاء شرعية على إيديولوجية الاستعمار[7].

من ثمّ فإن نفعية العلاقة والتماثل البنيوي بين الصهيونية واليهودية جعل من الأسطورة دافعا للهجرة, ومن فلسطين أرضا للاستيطان. وكاتجاه عام يعكس ساسة الكيان هذه العلاقة بعبارة بن غوريون: "إن كتاب أشعياء في العهد القديم لا يحتوي على رؤى قديمة فحسب بل هو دليل للسياسة في العصر الحديث". وهو ما تُظهره العقيدة السياسية لإسرائيل من دعم الاستيطان لأهداف دينية, والايمان باستحالة الاندماج مع الغير, والتغيير الديموغرافي باستقدام اليهود إلى فلسطين وإحلالهم مَحل سكانها الأصليين.

وأخذ هذه الأبعاد لايزال قائما في الثقافة السياسية لإسرائيل, وهي صريحة على ألسنة الساسة في تبرير عمليات التطهير العِرقي ولزوم التهجير, من وصف الفلسطينيين "بالحيوانات البشرية" وهي تساوق سفر الخروج (16.12). وكذا لدى الغرب من تأطير الصراع بمعاداة السامية, نحو وصف رئيس الولايات المتحدة جو بايدن عملية طوفان الأقصى بـ"الشر الخالص المحض" وحماس "بجماعة هدفها المعلن هو قتل اليهود"[8].

بالتالي فقد دفعت هذه الأفكار وعلى نحو الدوام باتجاه تجدد الصراع وفي دورة مستدامة من العنف المبرر بدوافع ايديولوجية ودينية, وكذا الاستمرار في مصادرة الأراضي ونهب مواردها, ورفض مساواة الغير من سكانها ولو كأقلية قومية أصلية[9].

وبالرغم من وجود تيار علماني في إسرائيل يطالب بفصل الدين عن السياسية, إلَّا إن إرجاع الصراع إلى أصول دينية يهودية أمر يحظى بشعبية كبيرة في إسرائيل, ويتأكد مع حكم التيار اليمني المتشدد "الصهيونية الجديدة" وعقيدته السياسية في تفسير الصهيونية بطريقة عنيفة ومتطرفة, وأن دولة إسرائيل خالصة لليهود فقط. وأن تهويد الأرض داخل وخارج الخط الأخضر يبيح للمستوطنين استعمار الضفة الغربية والقطاع.

وذات الإيديولوجية لدى اليهودية الرأسمالية خارج إسرائيل ولاسيَّما في الولايات المتحدة, فيما يُعرف "باللوبي الصهيوني" والذي يجده جون ميرشايمر وستيفن والت تحالفًا فضفاضًا من الأفراد والمنظمات ممَن يعملون بنشاط لتشكيل السياسة الخارجية للولايات المتحدة وتكييف الصهيونية الأوروبية في إطار الاتجاه المؤيد لإسرائيل". وباتجاه أن مستقبل الشعب اليهودي يتعين في مركزين رئيسين للحياة اليهودية، أحدهما في الولايات المتحدة والآخر في فلسطين ويمثّل المركز القومي الثقافي الذي من شأن تأثيره الروحي والفكري أن يلهم اليهود في الخارج ويقود النهضة الروحية للأمة اليهودية[10].

ثانيًا: الصراع الديموغرافي وأبعاده الجيوسياسية

بينما تعكس الخصائص الديموغرافية قوة الدولة ومكانتها الإقليمية والدولية؛ فهي تعكس في فلسطين ما طرأ على أرضها من تغييرات عِرقية وأثنية, وأبعد من ذلك تعكس طبيعة التغيير في الخريطة الجيوسياسية والجيوثقافية للمنطقة.

وحيث أن السكان شرط أية دولة, هدفت الصهيونية مدعومة بالإمبريالية إلى جمع الأقليات اليهودية في دولة قومية في فلسطين وذلك في اتجاهين: احتلال الأرض والتمدد على كامل الحيّز الجغرافي لفلسطين. خلق واقع ديمغرافي جديد لصالح تهويدها, وسبيل ذلك تنظيم هجرات ضخمة إلى فلسطين وإحلالهم مَحل سكانها الأصليين, إذ لا يتحصّل ذلك بالنمو الطبيعي لأقلية يهودية لم تتجاوز (1.4%) إلى إجمالي السكان قبل موجتي الهجرة الأولى والثانية بين 1880 – 1903 و1914 من روسيا وشرق أوروبا[11].

وإذ تقرر أن فكرة الهجرة تساوق فكرة العودة قبل تسيسها, فإنها غالبًا ما كانت تحدث فردية ولاعتبارات دينية محضة. حيث أعداد من اليهود المتدينين يتوجهون إلى فلسطين عند كل حركة إصلاح ديني في الدول الأوروبية منذ القرن الخامس عشر, وعلى الرغم من أن هكذا دعوات لم

تخلو من العنصرية وكونها ملغمة ومشحونة بادعاءات الحق الإلهي إلَّا أنها حركات هادئة غير صريحة بنفي الآخر. ولم تتخذ طابعا سياسيا أو دوليا إلَّا بعد تحويلها إلى إيديولوجية سياسية وربطها بأهداف ومصالح الإمبريالية الأوروبية[12].

وتعد مستعمرة "مونتفيوري" عام 1837 لليهودي البريطاني موشيه مونتيفيوري أول مستعمرة يهودية في فلسطين بعدد سكان لم يتجاوز (1500) يهودي ثم تزايدت أعداد المهاجرين لتصل إلى (22.000) عام 1881. لتتخذ بعد ذلك منعطفا خطيرا ارتبطت خلاله بأربعة متغيرات دولية: ضعف سلطة العثمانيين وتراجع نفوذهم في المنطقة في قِبال تعاظم النفوذ البريطاني الأوروبي بشكل عام[13]. التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في اوروبا الغربية ورفضها الانعزالية شبه التامة للمجتمعات اليهودية, وموقف اليهود من تلك التحوّلات فيما عُرف بالمسألة اليهودية, والذي جعل من هجرة يهود شرق أوروبا إلى فلسطين هدفا لدول غرب أوروبا وللبرجوازية اليهودية المهيمنة على قطاعات التجارة والبنوك.

المتغير الثالث: تحوّل الإيديولوجية الصهيونية إلى حركة سياسية عام 1890, وانبثاق الجمعيات الداعمة لهجرة اليهود إلى فلسطين كحل للمشكلة اليهودية كجمعية أحباء صهيون وحركة البيلو[14]. أما الرابع فهو ربط إيديولوجية العودة والاستيطان بحركة الاستعمار الأوروبي وفكرة إقامة حاجز بشري مستعمر في فلسطين[15].

ومع زيادة تورط اليهود بمناهضة التحوَّلات في أوروبا وتنظيم موقفهم الرافض لفكرة الاندماج فيما عُرف بالهسكالاه (Haskalah), زاد نبذ اليهود وتزايدت أعمال العنف ضدهم لاسيّما في مجتمعات شرق أوروبا. ولغاية عام 1903 حدثت موجتين كبيرتين للهجرة تضمنتا (50.000/نسمة) من يهود روسيا وبولندا ورومانيا إلى فلسطين, لترتفع نسبة اليهود في فلسطين من (1.04%) عام 1880 إلى (3.4%) عام 1903 وإلى (8%) عام 1914.

ودِلالة ذلك مضافًا إلى ضعف سلطة العثمانيين وتراجعها, إنَّ ثمَّة تماهٍ مع بريطانيا والحركة الصهيونية لاسيَّما بعد احتلال فرنسا لمصر, ودليل ذلك تسهيلات شراء اليهود للأراضي بدعم من القنصلية البريطانية في القدس, وإجازة السلطان العثماني جمعية الاستيطان اليهودي استئجار الأراضي في يافا بتمويل من اليهودي إدموند دي روتشيلد وموريس دي هيرش ولغاية عام 1914 وضعوا أيديهم على (42) ألف دونم من مساحة فلسطين وبعدد (44) مستعمرة[16].

ويؤكد الجدول (1) إن مدّة الانتداب البريطاني شكَّلت أكبر الأثر في قلب معادلة التوازن الديموغرافي لصالح اليهود, إذ وصل تراكم الهجرة لذات المدّة إلى (558.910) مهاجر. نتيجة إسهام بريطانيا وبشكل عملي بتنظيم وتمويل موجات واسعة للهجرة من أوروبا والشرق الأوسط,

وإرساء دعائم التواجد اليهودي بمنحه غطاءً دوليًا سيّما بعد صدور قرار الانتداب عام 1922, فضلًا عن قمع الاحتجاجات والثورات الفلسطينية ضد المستعمرات الأولى.

مما يضعنا أمام حقيقة إن استعمار فلسطين لم تكن عملية مناطة بالصهيونية فقط وإنما بريطانيا وبقية القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى[17].

جدول (1) الميزان الديموغرافي في فلسطين ودور الهجرة فيها للمدّة 1914 – 2023.

العام	اجمالي السكان	عدد العرب	النسبة	عدد اليهود	نسبتهم	الهجرة	أوروبا وأمريكا الشمالية	آسيا وأفريقيا
1914	689.775	634.633	92	55.142	8	83.000	96	4
1947	1.739.387	1.363.387	69	614.239	31	457.082	89.6	10.4
1948	2.065.000	1.415.000	68.5	650.000	31.5	101.828	44	56
1967	3.741.300	1.357.000	36.3	2.383.600	64.7	1.168.247	61.84	37
1978	4.558.600	1.417.400	31	3.141.200	69	367.388	85.7	14.3
1988	5.942.000	2.282.900	38.4	3.659.000	61.6	167.005	76.2	22
1998	8.090.000	2.596.617	32	5.500.000	68	903.002	80	18
2008	11.170.300	5.100.000	45.7	6.070.000	54.3	320.264	69	27
2018	13.270.300	6.606.000	49.78	6.664.300	50.2	237.597	94	2.7
2023	14.873.000	7.728.000	51.9	7.145.000	48.1	192.814	94.84	3
المجموع						3.998.223		

المصدر:

1 - the United Nations, Department of Economic and Social Affairs, Population Division. World Population Prospects. July 16, 2023.

2 – مركز المعلومات الوطني الفلسطيني – وفا.

https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=2213

من جانب آخر: فقد شكَّل تراكم المهاجرين اليهود وارتفاع نسبتهم إلى (31%) من إجمالي السكان المحليين أساسا بشريا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 29/ 11/ 1947 بتقسيم فلسطين إلى دولتين[18]. (سي روس، دانيل، تشار لز، و ماري، 2015، صفحة 15): يهودية تمتد على نحو (56%) من مساحة فلسطين وبقاعدة سكانية قومية تقدر بنحو (600) ألف مستوطن. وفلسطينية تمتد على فاضل المساحة ويقدر بـ(44%) وبغالبية سكانية تقدر بـ(1.363.387) نسمة (69%) داخل حدود الكيان الجديد.

ويُظهر ذات الجدول أن هناك مدّتين عاليتين للهجرة: المدّة من 1948 – 1967, حيث شكَّل انتصار الكيان الجديد في حرب 1948, ونجاحه بالتوسع على كامل فلسطين عام 1967, ما يعني تحقق الإيديولوجية الصهيونية وبالتالي حافزا لهجرة مئات الآلاف من اليهود. أما المدّة الثانية فكانت من 1990 – 2000 نتيجة الاضطراب السياسي والاقتصادي الذي زامن انهيار الاتحاد السوفيتي 1991. وعموما فقد أسهمت هاتان المدَّتان بنحو 65% من إجمالي الزيادة السكانية لليهود والهجرات الوافدة[19].

أما من حيث المناطق المهاجر منها فيُظهر الجدول مدى إسهام أوروبا برفد الصهيونية بالمهاجرين, في ظاهرة أشبه بالتفريغ الديموغرافي ليهود أوروبا في فلسطين, وهو يرتبط تاريخيا بنبذ اليهود ورغبة غرب أوروبا والرأسمالية الصهيونية بنقل يهود شرق أوروبا إلى فلسطين, ويرتبط فيما عدا ذلك بنشاط الوكالة اليهودية في تلك الدول.

عدا ذلك فقد ارتفعت نسبة المهاجرين من أسيا خلال عام 1948 نتيجة تفريغ الدول العربية من اليهود بعد الحرب العربية – الإسرائيلية عام 1948, عدا ذلك فقد أسهمت قارتي آسيا وأفريقيا بنسب معتدة بها ارتبطت خلال السبعينيات والثمانينيات بالهجرة الواسعة لليهود من إيران واليمن والمغرب وجنوب أفريقيا, خلال التسعينيات شكَّلت جمهوريات الاتحاد السوفيتي الآسيوية مصدرا مهما للهجرة اليهودية, وفي العقدين الأخرين برزت جنوب أفريقيا وأثيوبيا دولًا مهمة لنشاط الوكالة اليهودية, كما أسهمت كل من أمريكا الجنوبية واستراليا ونيوزيلندا بدعم الهجرة بنسبة (2.11%) و(2.7%) على التوالي للعقدين الأخريين.

من ثمَّ فقد شكَّلت الهجرة مصدرًا رئيسًا لنمو مطرد للمستوطنين اليهود خلال العَقدين الأوّلين بعد عام 1948 وبمعدل نمو بلغ نحو (9.2%) للعَقد الأول ونحو (3.2%) للعَقد الثاني[20]. بما أدى إلى انقلاب ميزان القوى الديموغرافية لصالح اسرائيل طوال النصف الثاني من القرن العشرين. بحيث باتت تشكل (61.6%) بالرغم من تراجع معدلات الهجرة إلى أدناها خلال عَقد الثمانينيات, لترتفع ثانية خلال عَقد التسعينيات إلى (68%) نتيجة ارتفاع أعداد المهاجرين إلى (903.002) مهاجر, منهم (750.000) من الاتحاد السوفيتي سابقًا.

ويعكس تراجع معدلات الهجرة للعَقدين الأخيرين تراجع نسب اليهود مقارنة بالفلسطينيين, نتيجة اندماج اليهود في المجتمعات التي يستوطنونها وبذا ارتفعت دواعي الهجرة, فضلًا عن استقرار وتطوّر المجتمعات الغربية حضاريا واقتصاديا بالقياس إلى إسرائيل. ويؤكد حقيقة ارتباط الهجرة إلى إسرائيل بأوضاع الدول الحاضنة وطبيعة الظروف والتحديات التي يواجهها اليهود فيها. عودها للارتفاع مرَّة أخرى عام 2022 إلى (74.714) مهاجر, وإلى (34.000) مهاجر خلال النصف الأول للعام 2023 نتيجة الحرب الروسية – الأوكرانية, بينهم (61%) من روسيا و(20%) من أوكرانيا والباقي من الجمهوريات المجاورة.

وتحقيقًا للإيديولوجية الصهيونية "أرض بلا شعب" اعتمدت إسرائيل في قلب توازن القوى الديموغرافي – مضافًا إلى استقدام المهاجرين – التهجير القسري لمئات الآلاف من الفلسطينيين ودفعهم خارج فلسطين دونما حق بالعودة, خاصّة خلال حرب النكبة 1948 حيث تم تهجير نحو (800.000) فلسطيني, منهم أكثر من (450.000) استقروا في الضفة والقطاع. والباقي خارج

فلسطين توزعوا بين (70.000) في الأردن و(75.000) في سوريا و(100.000) في لبنان و(7.000) في مصر و(4.000) وجدوا انفسهم في العراق. وبالمثل في حرب 1967 حيث تم تهجير نحو (250.000 – 300.000) خارج فلسطين[21].

وعامَّة فإن وجود (6.902.000) لاجئ فلسطيني في الخارج بحسب تقديرات (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ، 2024) للعام 2023؛ يؤكد مبدأ الإحلال حين مقارنتها بأعداد الإسرائيليين, ويؤكد أن ثمَّة مجتمع فلسطيني في الخارج بقدر مَن بقي في الداخل, وهو أيضا مؤشر مدى تأثير الهجرة والتهجير في ميزان القوى الديموغرافي.

وفيما يخص عملية طوفان الأقصى فإن سعي إسرائيل الدائب للقضاء على المكون الفلسطيني أو دفعه للهجرة فيما يُعرف بـ(الترحيل الصامت) كسلسلة من الإجراءات التخطيطية والبنائية لخلق ظروف اقتصادية واجتماعية تجعل من المناطق الفلسطينية غير قابلة للحياة وتتسبب بضغط مناطقي يدفع مَن بقي من الفلسطينيين إلى النزوح.

وآثار ذلك في الضفة ممارسة التهجير القسري في المنطقة (ج) والضغط في المنطقتين (أ – ب) بحيث عُدت مناطق طولكرم وأريحا والأغوار وطوباس ورام الله والبيرة جميعها ذات معدل طرد عالي[22]. وبالمقابل إحلال (268) مستوطنة وزيادة أعداد المستوطنين إلى (450.000) مستوطن في زيادة (200.000) قبل اتفاقات أوسلو عام 1993.

أما في قطاع غزة فقد أدى اتساع النشاط المسلح لحركة المقاومة إلى تعثّر الإحلال والانسحاب أحادي الجانب وتفريغ المستوطنات عام 2005, لكن إسرائيل تمارس ضغطا مناطقيا هو الأسوأ إطلاقا بحسب تقرير الأمم المتحدة للعام 2017, كما أن ذات التقرير يؤكد أن الممارسات والأساليب التي تتبعها إسرائيل تجاه القطاع, تجعل من ظروفه الاقتصادية والاجتماعية تتجه إلى الكارثة الإنسانية في مناطق غزة ومخيمات جباليا ورفح وخان يونس, حيث تُعد أكثر أجزاء القطاع نزوحا للسكان[23].

ثالثًا: جيوسياسية التوزيع الجغرافي للسكان

عطفًا على ما تقدم أخذت التحوَّلات الديموغرافية فيما يرتبط بالمكان طابعًا قوميًا جيوسياسيًا, استهدفت خلاله الصهيونية الاستيلاء على الحيّز الجغرافي ثمّ التوسع ثم تحقيق التكامل الوظيفي بين الأجزاء المستعمرة, في ذات إقصاء المكون الفلسطيني واستبداله بمكون آخر مغاير ومعادٍ, وبالتالي تبدّل الخريطة الجيوسياسية للمكونات الأثنية والديموغرافية لفلسطين على عدَّة مراحل.

وفيما يخص عمليتيّ الاستيلاء والتوسع فلم يكونا مناطتين باليهود فقط وإنما بالتسهيلات والإجراءات التي قامت بها الدول الكبرى التي احتلت فلسطين. إذ تقدم أن الدولة العثمانية قد

سهلت أو تماهت في عمليات شراء واستئجار اليهود للأراضي بحيث انتهت إلى (42) ألف/ دونم عام 1914. بَيد أن دورها يتعدى ذلك إلى طبيعة النظام العثماني المتبع في إدارة وتمليك الأراضي الزراعية, حيث تمتلك الحكومة نصف أراض الدولة تقريبًا وبالتالي فإن هذه المِلكية انتقلت إلى المحتل البريطاني وبواسطته إلى الصهيوني, كما أن تمليك الأراضي للموظفين الحكوميين من غير الفلسطينيين حدا بهم إلى تركها خروج العثمانيين, مضافا إلى أن اتباعهم لنظام الاقطاع في تمليك الأراضي أدى إلى ضعف صلة الملاك بها وضعف إدارتها وبالتالي سهولة التخلي عنها.

أما مدَّة الانتداب البريطاني فقد مهدت لقيام دولة الكيان بتملّك اليهود نحو مليون ونصف دونم (6.6%) من إجمالي مساحة فلسطين, جدول (2). فضلًا عن انتقال مِلكية الأراضي الحكومية بعد انتهاء الانتداب وقيام إسرائيل. وعمومًا فقد عمِلت الصهيونية منذ الموجات الأولى للهجرة بالجمع بين ثلاث مجالات: الوكالة اليهودية لتنظيم الهجرات وتدريب المهاجرين, الصندوق القومي لليهود لتمويل حملات شراء الأراضي, التشكيلات المسلحة والمدربة لحماية المستوطنين والاستيلاء على مزيد من الأراضي[24].

تم توزيع المستوطنات واتجاهات التمدد بما يحقق وحدة جغرافية ومجالًا جيوسياسيا تمهيدا لقرار الأمم المتحدة (181) عام 1947, الخريطتين (1و2). ومع حقيقة أن الفلسطينيين كانوا (69%) من إجمالي السكان وعلى (93.4%) من إجمالي فلسطين؛ إلَّا إن القرار جاء بتقسيمها إلى دولتين: عربية ويهودية وتخضع القدس لإدارة دولية, معتمدا توزيع المستوطنات أساسا لحدود إسرائيل على (56%) من إجمالي فلسطين, وبما شمَل الشريط البحري من أسدود إلى حيفا خلا يافا, والنّقب خلا بئر السبع[25].

جدول (2) مِلكية الأراضي الزراعية في فلسطين ومراحل تطوّر مساحة إسرائيل

مِلكية الأراضي الزراعية خلال مدّة الانتداب		جهة الأراضي التي حازها اليهود حتّة عام 1947			تطوّر مساحة إسرائيل	
الجهة	%	الجهة	المساحة/الدونم	%	السنة	المساحة %
أراض حكومية	46	مدّة الاحتلال العثماني	42.000	1.55	1914	1.55
أراض عربية	47	ملاك غائبين غير فلسطينيين	625.000	2.31	1947	6.6
أراض يهودية	6	منحة بريطانية إلى الوكالة اليهودية	325.000	1.20	قرار التقسيم	56
طوائف أخرى	1	إجارة بريطانية إلى الوكالة اليهودية	175.000	0.64	1948	78
المجموع	100	مشتراة من اقطاعيين فلسطينيين	26.400	0.96	1981	+ 1150كم^2 من الجولان
		المجموع	1.193.000	6.6	1993	+ 3393كم2 من المنطقة (ج)
					خطة 2019	1236كم^2 من غور الأردن

المصدر:

1 – وليد حسن المدلل وعدنان عبد الرحمن أبو عامر, دراسات في القضية الفلسطينية, ط1, جامعة الأمة للتعليم المفتوح, غزة, 2013, ص63.

2 – عايش أحمد يوسف, الصراع الديموغرافي الفلسطيني – الإسرائيلي 200 – 2030, رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية/جامعة الأزهر/غزة, 2012, ص41.

1 - Mohammed Haddad. Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley. (Jun, 2020).

وحيث شكَّل قرار التقسيم الأساس الجغرافي لقيام إسرائيل أسس أيضا لدورها الوظيفي كدولة حاجزة بين شبه جزيرة العرب وبين سيناء والدولة الفلسطينية المفترضة, إذ كانت صحراء النقب خالية من التجمعات اليهودية وإمكانات التنمية الزراعية والمدنية آنذاك.

وعلى الرغم من رفض الفلسطينيين والدول العربية لقرار التقسيم مما أسهم باندلاع الحرب العربية – الإسرائيلية أوائل 1948؛ فقد تمكن الصهاينة فعلًا وقبيل انتهاء الانتداب البريطاني من احتلال (76%) من أجمالي مساحة فلسطين مقدمة لإعلان قيام إسرائيل في 1948/5/14. وبذلك تمكنت عمليًا من تحويل خطة التقسيم لصالحها بعد أن زادت مساحتها بمقدار الثلث تقريبًا مقارنة بخطة التقسيم, وأيضا من تحصيًّل الاستقلال ضمنا بعد الاعتراف بالخط الأخضر خطا للهدنة من قِبل دول مصر, والأردن, وسوريا, ولبنان.

ومع احتلال الأردن للضفة ومصر للقطاع اتجهت إسرائيل إلى فرض واقع ديموغرافي جديد في الأراضي داخل الخط الأخضر في عملية واسعة للتهجير والتطهير العِرقي[26]. من ثمَّ استخدام سلطة الدولة لمصادرة الأراضي وتوجيه عمليات الاستيطان من قبيل قانون املاك الغائبين, والمصادرة للمنفعة العامة, ونقل الأراضي العامة الخاضعة لسلطة الانتداب إلى سلطة اسرائيل. ليخسر الفلسطينيون بذلك نحو (87%) من الأراضي الأكثر خصوبة وأكثر إنتاجية و(85%) من أراضي منطقة النقب[27].

خريطة (1) التجمعات اليهودية ما قبل الانتداب

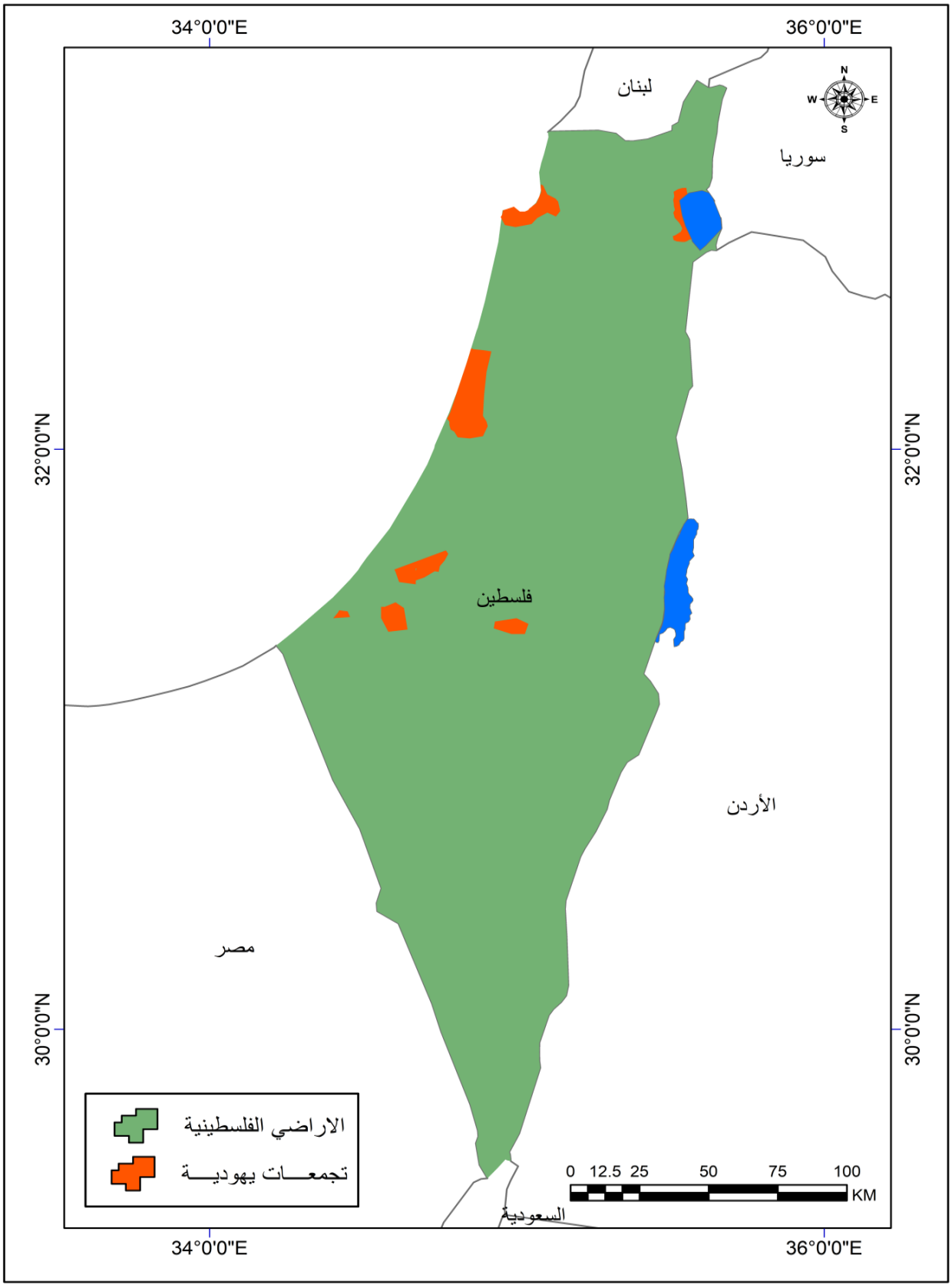

Source: Mohammed Haddad. Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley. (Jun, 2020).

الخريطة (2) حدود الدولتين الفلسطينية والإسرائيلية بموجب قرار الأمم المتحدة (181) 1947

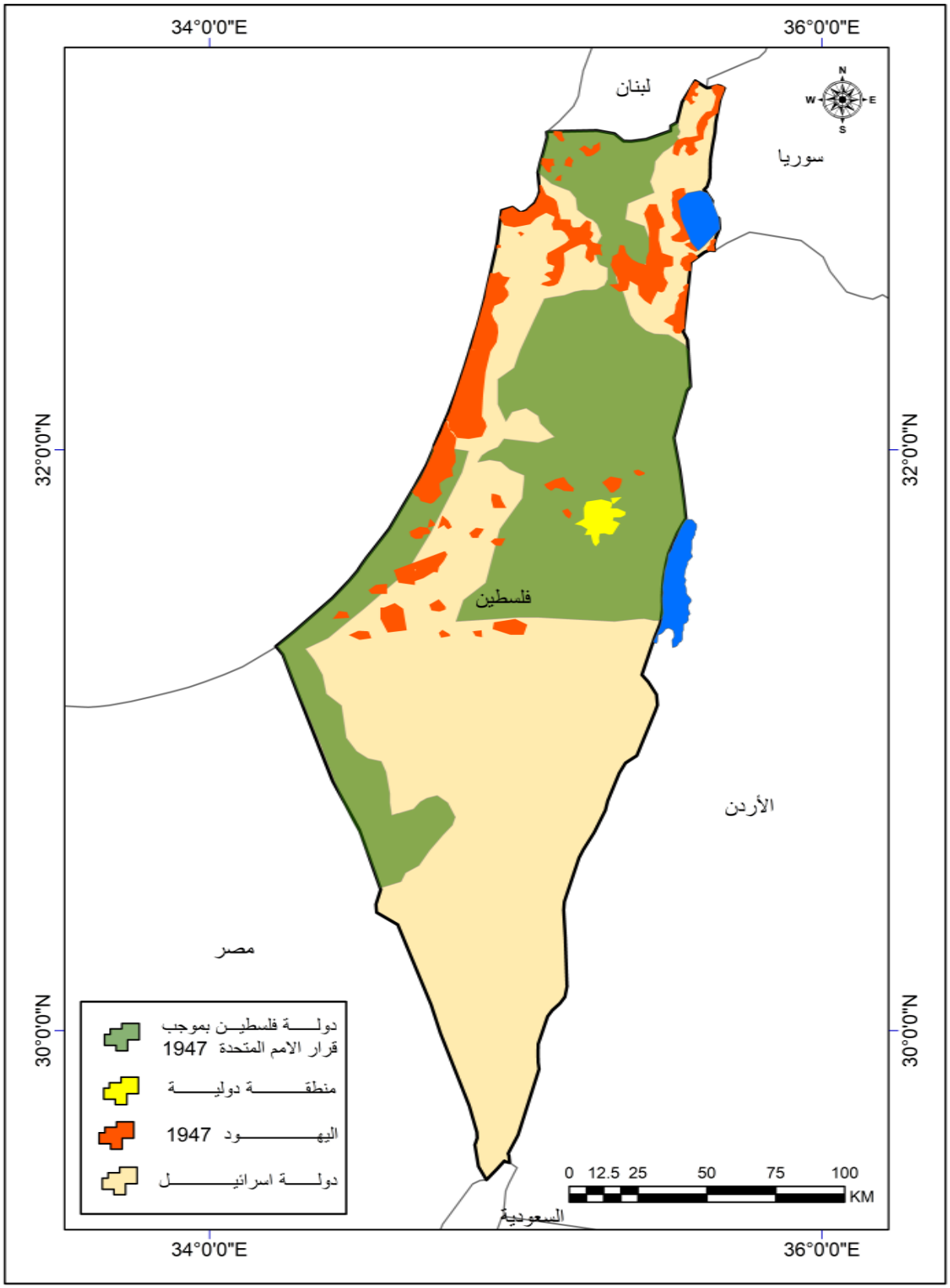

Source: Mohammed Haddad. Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley. (Jun, 2020).

في 5/6/ 1967 بدأت إسرائيل حربًا ضد مصر وسوريا والأردن, انتهت بعد ستة أيام بنصر إسرائيل واحتلالها كامل فلسطين وشبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان, خريطة (3). وبالمجمل توسعت إسرائيل على ثلاثة أضعاف مساحتها[28].

خريطة (3) الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام 1967

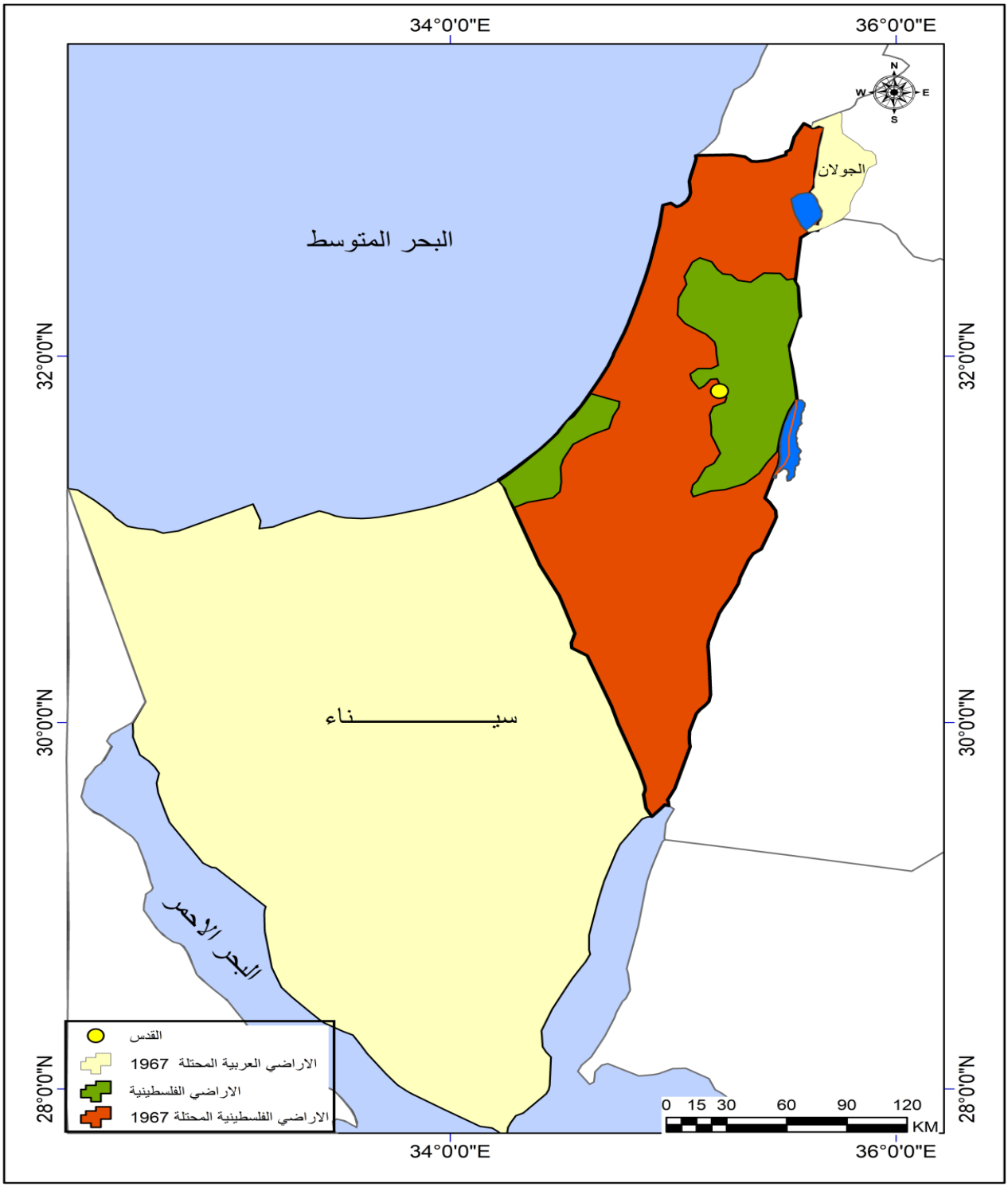

Source: Mohammed Haddad. Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley. (Jun, 2020).

بعد عام 1967 تم توجيه الاستيطان بما يحقق أمرين: الأول تحقيق وحدة إثنوجيوسياسية بملء المساحات بين المستوطنات بالمستوطنين الجدد. الأمر الثاني: موازنة السكان العرب ديموغرافيا في مناطق الضفة والقطاع والقدس الشرقية والجولان, وتحقيق أغلبية عِرقية في

مناطق الأطراف عند الخط الأخضر بموجب وثيقة تخطيط عام 1951, وفعلًا فقد تمكنت حتّى نهاية الثمانينيات من تحقيق أغلبية في الجليل والنقب والمثلث وبنسبة (70%) فيها.

وبما يحول دون أية فرصة لتغيير الواقع الجيوسياسي للحدود داخل الخط الأخضر, بعد أن رسّخت تواجدها أبعد منه ببناء 238 مستعمرة في الضفة تضم (450.000) مستعمر يشكلون خمس سكانها. وترجمت سيادتها على القدس الشرقية بمصادرة (40%) من مساحتها وبـ(13) مستوطنة و(220.000) مستوطن[29].

عام 1981 توسعت إسرائيل بإعلانها ضم الجولان إلى أراضيها, ولاحقًا اعترفت الولايات المتحدة بسيادتها عليها وأنها جزء من دولة إسرائيل عام 2019. ولاحقا من إحداث التحولات الجيوسياسية لصالحها خلال التسعينيات, بعد أن أقرت السلطة الفلسطينية بموجب اتفاقات أوسلو بإسرائيل دولة على (78%) من مساحة فلسطين مقابل إمضائها مشروع دولة فلسطينية على مساحة (22%) فقط من فلسطين التاريخية. وبعد أن اعترفت بسيادتها المدنية والعسكرية على (60%) من مساحة الضفة, ثم توسع إسرائيل ببناء المستوطنات بما يحول في الواقع دون أية فرصة حقيقة لإقامة دولة فلسطينية ذات سيادة لجهة الفصل الجغرافي بين منطقتي الضفة والقطاع. ولجهة تقطيع الضفة الغربية إلى ثلاث مناطق ثم الفصل بينها وعزل بعضها البعض, وبالتالي إيجاد حالة من التشتت المناطقي بما لا يسمح لأية سيادة فلسطينية عليها, خريطة (4).

إذ تم تقسيم الضفة إلى ثلاث مناطق: (أ) وتشغل (18%) منها وتضم (55%) من السكان الفلسطينيين ونظريًا هي خاضعة مدنيًا وأمنيًا للسلطة الفلسطينية, و(ب) وتشغل نحو (22%) منها وتضم (44%) من الفلسطينيين ونظريًا خاضعة للسطلة المشتركة بين اسرائيل وفلسطين, و(ج) وتشغل (60%) وتضم (0.8%) من فلسطينيّ الضفة وهي خاضعة أمنيا ومدنيا للسيادة الكاملة لإسرائيل[30]. وعند المقارنة تعد المنطقة (ج) هي الأغنى بالموارد الطبيعية والمياه والترب الغنية الخصبة, مضافا إلى إمكانات عالية للسياحة في غور الأردن والقدس التاريخية, كما أنها الأكثر قابلية للتنمية والتوسع الديموغرافي.

وفيما يخص قطاع غزة فقد عمِلت إسرائيل على فصله عن الضفة سياسيًا كما هو جغرافيا, ويكاد يكون خاضعا لسيادة حركة حماس منذ خطة فك الارتباط أحادية الجانب في 2005/8/15, إذ انسحبت إسرائيل من بعض المستوطنات والمواقع مع الإبقاء على بعض المناطق الاستراتيجية شمال القطاع وجنوبه عند الشريط الحدودي مع مصر[31].

خريطة (4) اتفاقات أوسلو1993 – 1995 وتوزيع مناطق السيادة والنزاع

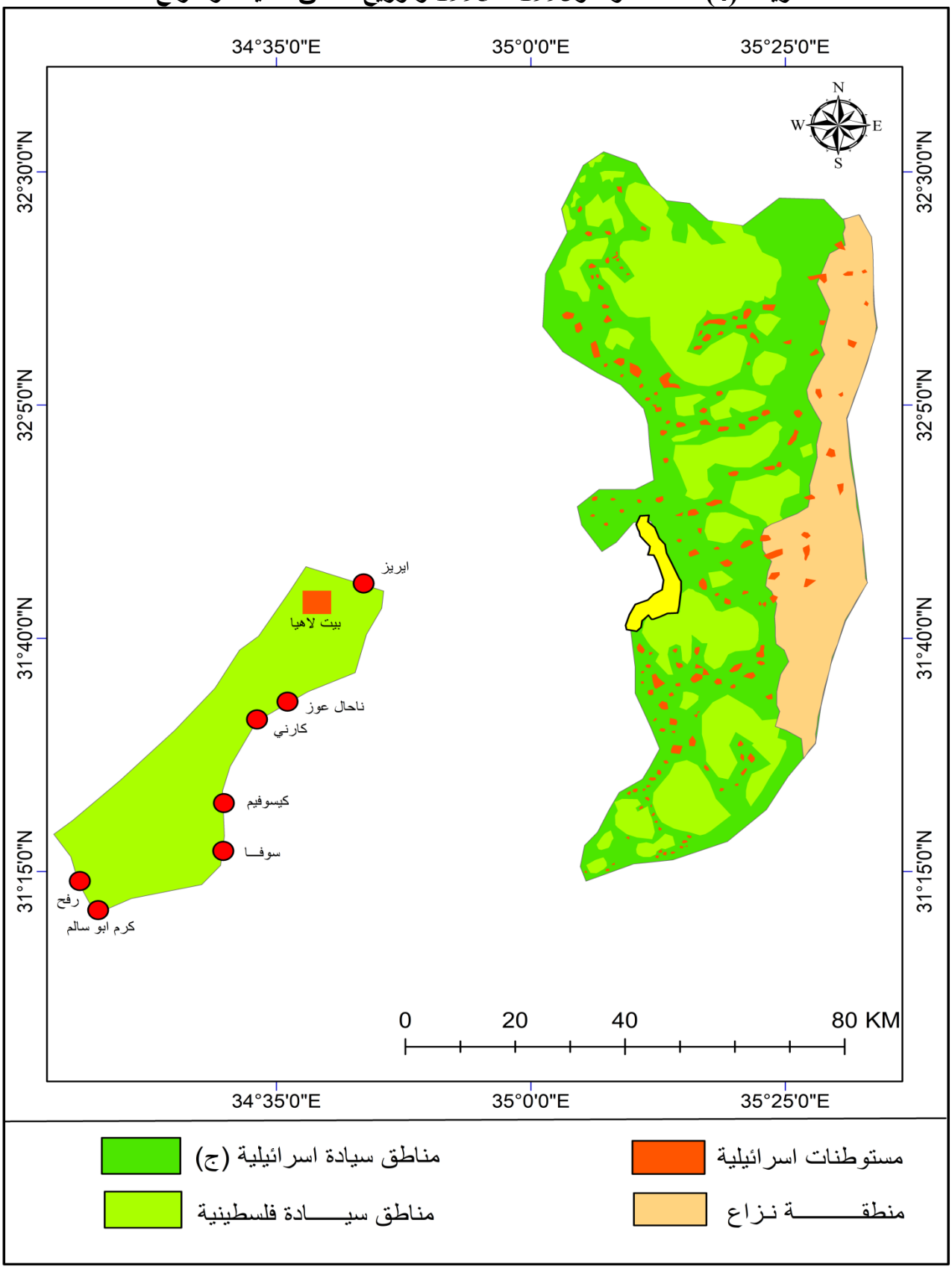

Source: Mohammed Haddad. Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley. (Jun, 2020).

وبالمجمل فالذي نتج عن اتفاقات أوسلو سيطرة إسرائيل على نحو (60%) من أراض الضفة الغربية بضمنها القدس الشرقية, وبواقع (207) مستوطنة وعدد (450.000) مستوطن, وعلى نحو (17%) من أراض القطاع برغم انسحاب 2005 وبواقع (21) مستوطنة خالية حاليًا فضلًا عن مجموعة من الطرق الالتفافية والمواقع العسكرية والمناطق العازلة للحيلولة دون أية فرصة لوحدة جغرافية أو اجتماعية فلسطينية[32].

أما بناء إسرائيل للجدار العازل منذ 2003 فقد أدى إلى تدمير (170.000/دونم) من مزارع الضفة أو ما يعادل (10.2%) من كليّ المساحة المزروعة[33]. مضافًا إلى مصادرته مساحات واسعة من أراض الضفة, نظرا لوقوع (85%) منه داخلها وليس على حدود الخط الأخضر[34].

فضلًا عن تقطيعه الضفة إلى قطع صغيرة وفي حالة من التشتت الاجتماعي والعائلي. وفضلًا عن خنق المنطقة (إ) لندرة الأراضي الشاغرة فيها, وتقييد التنمية في المنطقة (ب) بالمناطق ممكنة الوصول, واطلاق السلطة لإسرائيل في المنطقة (ج). ويُبين الشكل (1) مدى تأثيرات الجدار ونسب المتضررين منه. وتؤكد تلك التأثيرات معاينة الفرق بين الضفة والقطاع, فبينما يتألف القطاع من (72.5%) أراضٍ حضرية سكنية, تتألف الضفة من (71.2%) أراضٍ زراعية, وحقيقة أن (70%) من أراضيها و(5%) من أراضيه غير مسجلة, ما يعني أنها عرضة لمخاطر المصادرة ونقل المِلكية[35].

الشكل (1) طبيعة ومدى تأثيرات الجدار العازل في الضفة الغربية

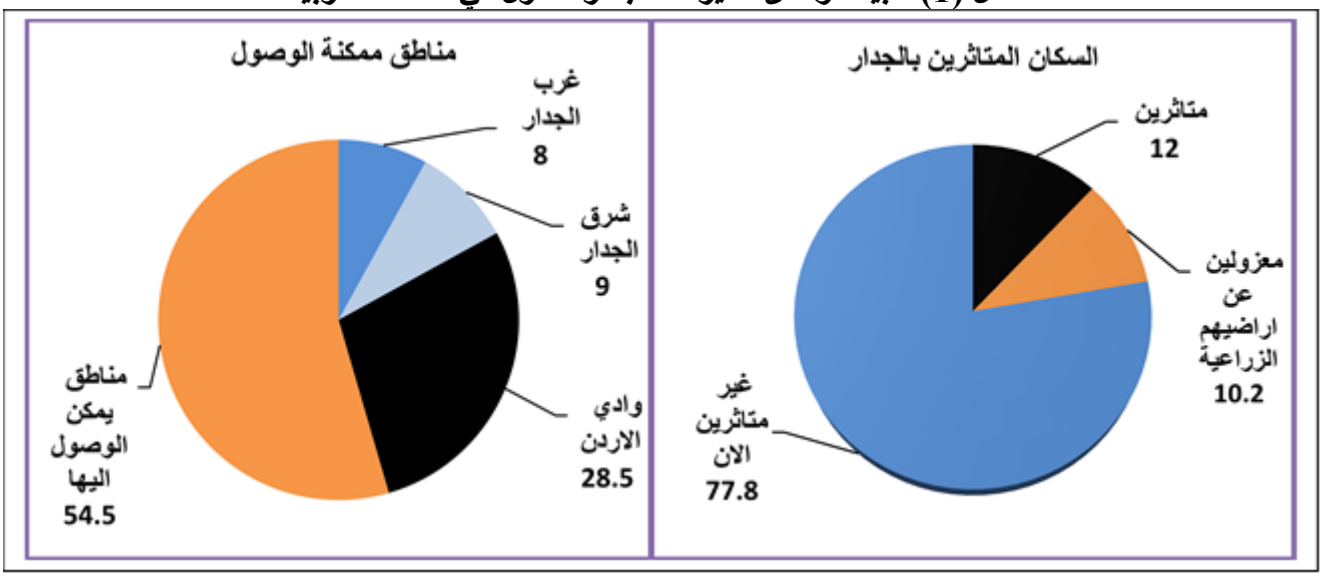

Source: The impact of the Israeli Separation Wall on Palestinian livelihoods in the West Bank, A Thesis Submitted to the College of Humanities, Arts and Social Sciences, Flinders University, Adelaide, 2020.

أما مَن بقي من الفلسطينيين داخل الخط الأخضر أو ما يُعرف بعرب (48) فيُشكلون نحو (21%) من إجمالي سكان الكيان عام 2023, وهم يتركزون في مناطق الجليل بنحو (60%) منهم, والمثلث (20%) كذلك والنقب (10%) معظمهم من البدو[36].

نخلص مما تقدم: إن تاريخًا من الصراع الديموغرافي – الجيوسياسي للشعب الفلسطيني, يضعنا أمام مجموعة من الحقائق أوّلها: إن إسرائيل لم ترسم حدود رسمية لها! وعلى الرغم من اعتراف معظم المجتمع الدولي بخط الهدنة لعام 1949 حدودا سياسية لإسرائيل, وكل من الضفة الغربية وقطاع غزة وشرق القدس كيانات جيوسياسية للفلسطينيين؛ إلَّا إنها لم تلتزم ذلك سياسيًا, وبالتالي استمرارية التوسع ومصادرة الأراضي وممارسة التهجير القسري للسكان.

ثانيها: بناءً على النتيجة أولًا لم تشهد المشكلة الفلسطينية تطوّرا سياسيًا مطلقا وأرجح أنها كذلك في المستقبل. وما حدث في اتفاقات أوسلو منذ 1993 إلى انهيارها رسميًا في النصف الثاني من التسعينيات لا يعدو كونه مناورة إسرائيلية واستجابة فلسطينية في عزل الضفة عن القطاع جغرافيا وتفتيتها والحيلولة دون أية وحدة سياسية أو اجتماعية بين أجزائها بالجدار العازل.

ثالثها: إن إعلان إسرائيل بضم وادي الأردن وتعزيز تواجدها الاستيطاني والعسكري فيه, إنما هو ضمن مكاسبها الجيوسياسية لعزل الأراضي الفلسطينية عن كامل جوارها الجغرافي ومحيطها الإقليمي, وتعزيز ذلك بتوجيه عمليات الاستيطان نحو مناطق النزاع وربط المستوطنات وظيفيا بإسرائيل, الأمر الذي يجعل من الطموح في قيام دولة فلسطينية موحدة ومتكاملة وقابلة للحياة الآن أو في المستقبل تصوّرا غير قابل للتحقق.

وتقدم في بيانات الجدول (2) التوسع المطرد في مساحة إسرائيل على حساب الأراضي العربية, وبما يؤدي إلى تقويض أية فرصة للسلام أو التعايش السلمي, وبالتالي فإنَّ العقيدة الإيديولوجية والسياسية والعسكرية لإسرائيل شكَّلت مصدرا دائما للصراع الجيوسياسي وجعلت من المقاومة المسلحة خيارا جيوسياسيا للشعب الفلسطيني, لاسيّما بعد نجاح المقاومة في إجبار إسرائيل على الانسحاب وتخلية مستوطنات محيط غزّة بعد انتفاضة 2005.

رابعًا: الأبعاد الجيوسياسية للصراع على الموارد الطبيعية

شكَّلت الموارد الطبيعية منطلقًا رئيسًا للصهيونية في احتلال الأرض وتوزيع المستوطنات, وذلك في اتجاهين: السيطرة الأرضي الزراعية الخصبة ومصادر المياه ولاحقًا مصادر الطاقة.

إبعاد الفلسطينيين وفصلهم تدريجًا عنها وخلق واقع جيوسياسيا من العلاقة العكسية بين التوزيع الجغرافي للسكان الفلسطينيين وبين مواردهم الوطنية, وكما يأتي:

1 – الأراضي الزراعية ومصادر المياه:

لم تكن عمليات الاستيلاء على الأرض والتوسع في بناء المستوطنات عشوائية, وإنما تم توجيهها مبكرا بما يتيح للكيان الجديد سلطة تخصيص الأراضي وتخطيط استخداماتها, ولاتزال مؤسسات مثل: الصندوق اليهودي الوطني لتملك الأراضي وتوطينها أو تأجيرها اليهود حصرًا منذ عام 1901, وسلطة التنمية لإدارة أراضي اللاجئين وتطويرها لبناء وتنمية المستوطنات منذ عام 1952؛ تتيح للحكومة والهيئات المرتبطة بها وخلافا لنظام المِلكية الخاصة امتلاك وإدارة نحو (39%) من الأراضي في إسرائيل[37].

من ثمَّ فقد دعَّمت التجكم والتمدد في أراضٍ جديدة من خلال سلسلة قوانين ترقى إلى (48) قانونًا عثمانيا وبريطانيا ولاحقا إسرائيليا. وهي حقيقة بالنسبة لفلسطين إذ أن جميع القوانين التي تنظم إدارة الأرض ونقل ملكيَّتها قد صدرت من قوى خارجية محتلة وليست من أبنائها[38].

وجيوسياسيًا ولأجل دعم إقامة وطن قومي لليهود بدأت الصهيونية وبدعم بريطاني بالتوسع في الأراضي السهلية ذات الترب الخصبة ومصادر المياه الدائمة شمال شرق فلسطين, ثم الربط بينها والتمدد شمالًا بالدمج بين المستوطنات مرورا بسهول الحولة وبيسان ومرج بني عامر وحيفا وعلى طول السهل الساحلي حتّى مدينتي يافا والرملة جنوبًا[39]. وبرغم تنظيم المستوطنات في تلك المدَّة بطابع دفاعي إلّا إنها وفي ذات الوقت وجّهت كنقاط توسع على الأراضي المحيطة بها بحيث تحقق لها السيادة الاستراتيجية على كامل محيطها الجغرافي[40].

ويعكس سياسات إسرائيل تجاه الأراضي الزراعية التوسع المطرد في حجم إراضيها بنسبة (260%) منذ عام 1948, وتضاعف مساحة المروية منها بمعدل ثمانية أضعاف أو ما يساوي (2.4 مليون/دونم) حتَّى عقد الثمانينيات, والتوسع في (300) قرية زراعية مضافَة إلى (450) قرية داخل حدود الخط الأخضر[41].

وحاليًا يواجه الفلسطينيون خطر ضم إسرائيل لمنطقة غور الأردن وشمال البحر الميت, إذ أعلنت عام 2019 بأن المناطق التي سيتم ضمها من الغور ستشكل (95%) من إجمالي مساحته, من ثمَّ فقد أعلن رئيس وزراء الولايات المتحدة دونالد ترامب رسميًا في 2020/1/28 تأييده إسرائيل بضم هذا الأجزاء من الضفة ومنح الفلسطينيين بالمقابل السلطة على (15%) فقط من إجمالي فلسطين التاريخية كحل للصراع بين الطرفين فيما وصفه بـ"صفقة القرن".

وتتأتى أهمية غور الأردن كونه يشكّل (30%) من مساحة الضفة, ونصف أراضيها الزراعية, والشريط الخِصب بطول (105)كم والذي يمثل الحدود الدولية الوحيدة بين الضفة والأردن؛ بالتالي فإن ضم إسرائيل للغور يعني محاصرة الفلسطينيين بالكامل من قبل إسرائيل. وعلى الرغم من من أن المزارعين الفلسطينيين غير متصلين الآن بشبكة المياه هناك ويعتمدون شرائها من الصهاريج, ويحصلون على أقل في المتوسط بـ (18) مرّة من المستوطنين الإسرائيليين. إلَّا إن ضم إسرائيل للغور سيؤدي إلى عزلهم فعليًا عن نهر الأردن[42].

أما بالنسبة لموارد المياه فيمثل نهر الأردن واليرموك المصدر الرئيس للمياه السطحية في الضفة, وقد عمِلت إسرائيل على منع الفلسطينيين كليهما, كما عمِلت على تحويل تدفقات بحيرة طبرية إلى ناقل للمياه داخل إسرائيل منذ عام 2004[43].

وذات الأمر بالنسبة للقطاع حيث يعد وادي غزة المصدر الوحيد للمياه فيه, وقد عمِلت إسرائيل على تحويل الجريان السطحي للوادي عند تلال الخليل بحيث أحالته جافا[44].

ثمَّة مصدر آخر للمياه وهو المياه الجوفية وتتوزع على أربعة أحواض صرف رئيسية: ثلاثة منها في الضفة الغربية: الحوض الغربي، والحوض الشمالي الشرقي، والحوض الشرقي, وهي توفر (64%) من المياه المتاحة للاستخدام في الضفة, أما الباقي ويقدر بـ(36%) فيؤمن بالشراء من شركة (Mekorot) الإسرائيلية؛ وهذه الأحواض تقع إما بالكامل في المنطقة (ج) التي تسيطر عليها إسرائيل أو في المنطقة (ب) فتكون مشتركة مع إسرائيل. أما الحوض الرابع وهو الحوض الساحلي لقطاع غزة والذي يوفر (95.4%) من استخدام المياه في القطاع.

وبحسب الإمكانات المقدرة للأحواض الثلاث تم تخصيص (483 مليون/م^3) أو ما يعادل (71%) لإسرائيل و(138مليون/م3) أو ما يعادل (20%) للفلسطينيين منذ اتفاقية أوسلو الثانية عام 1995, وبالنسبة للحوض الساحلي فيقدر المتاح من مياهه بـ(50 – 80 مليون/م^3) سنويًا يُستنزف ضعفها تقريبًا ويذهب (60%) منها لأغراض الزراعية[45].

أفضى هذا الوضع أن لا يشكل متوسط استهلاك الفرد الفلسطيني حاليًا سِوى (12%) فقط بالقياس لمثيله من مستوطني الضفة والقطاع, وبحيث يبلغ متوسط استخدام الفرد فيهما (238م^3/السنة) بينما يبلغ (1.959م^3/السنة) في إسرائيل[46].

ولأن الزراعة محور اقتصاد الشعب الفلسطيني فيمكن توجيه سياسات إسرائيل تجاه الأراضي الزراعية ومصادر المياه على أنها سلب لاقتصاد الأرض وقدرة واستقلالية المجتمع الفلسطيني, وبالتالي مزيدا من التبعية الاقتصادية. وحاليًا تتجاوز عملية نقل الموارد إلى إسرائيل (15%) من إجمالي الناتج المحلي الفلسطيني, وذلك عِبر ثلاث قنوات: اعتماد الفلسطينيين على

أكثر من (60%) من الأغذية المستهلكة من إسرائيل, دفع الرسوم الجمركية على المنتجات المستوردة عِبر إسرائيل إذ لابديل عنها, فرض ضرائب الدخل والضمان الاجتماعي على العمالة الفلسطينية المهجرة والرخيصة في إسرائيل, فضلًا عن عائدات رسوم سك العملة التي تتلقاها إسرائيل بعد تقنينها في الأرض الفلسطينية المحتلة[47].

2 – النفط والغاز الطبيعي

برزت حقول النفط والغاز كمتغير رئيس في الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي خلال عَقد الثمانينيات, وتحديدا حين اكتشاف حقل مَجد النفطي في المنطقة (ج) من الضفة الغربية. وعامّة يأخذ التوزيع الجغرافي للثروة البترولية اتجاها لصالح إسرائيل, إذ تقدر داخل الخط الأخضر وبدِلالة الجدول (3) بـ(11.5مليون/برميل) احتياطات نفطية مؤكدة و(11.85 تريليون/قدم^3) احتياطات غازيّة مؤكدة و(38 تريليون/قدم^3) محتملة.

بالمقابل لا يقع منها ضمن حدود الضفة والقطاع سِوى حقل مجد النفطي على الخط الأخضر باحتياطات نفطية مؤكدة تقدر بـ(1.5 مليون/برميل) وبنحو (182 مليار/قدم^3) من الغاز المصاحب, وحقليَّ مارين^1 ومارين^2 للغاز الحر قبالة ساحل غزة بمسافة 17 – 21 ميلًا بحريًا باحتياطات محتملة تقدر بـ(1.4 تريليون/قدم^3).

وكيف كان تسيطر إسرائيل على كامل الثروة البترولية لفلسطين على الرغم من منحها نظريًا السلطة الفلسطينية حقَ التنقيب والتعاقد وسلطة بحرية قبالة ساحل غزة لمسافة 20 ميلاً/بحريًا بموجب (اتفاق أوسلو الثاني) عام 1995[48].

وما حدث فعلًا من مناقشات أولية بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل والمجموعة البريطانية (British Gas) عام 1999 وبيع الغاز من حقل مارين^1؛ لا استقلاليّة فيه بعد ربط الحقل بخط أنابيب تحت البحر إلى ميناء عسقلان في إسرائيل[49]. وبعد فرض إسرائيل منذ حصار غزة 2007 سيطرة فعلية على الحقل متجاوزة السلطة الفلسطينية, بل ودمجها جميع الحقول المكتشفة في المنشآت البحرية الإسرائيلية المتاخمة, فضلًا عن سيطرتها على كامل إنتاج النفط والغاز الطبيعي لحقل مجد النفطي[50].

جدول (3) الاحتياطيات المؤكدة والمحتملة من النفط والغاز الطبيعي في فلسطين التاريخية

الأراضي المحتلة عام 1948		الأراضي المحتلة عام 1967	
النفط (احتياطات مؤكدة)	11.5 مليون/برميل	النفط الخام (احتياطات مؤكدة)	1.5 مليار/برميل
الغاز الطبيعي	11.85 تريليون/ قدم^3	الغاز الطبيعي	1.4 تريليون/قدم^3

(احتياطات مؤكدة)		(احتياطات محتملة)	
الغاز الطبيعي (احتياطات محتملة)	38 تريليون/قدم^3	الغاز الطبيعي المصاحب (احتياطات محتملة)	182 مليار/قدم^3

Sources: The Economic Costs of the Israeli Occupation for the Palestinian People: The Unrealized Oil and Natural Gas Potential, United Nations publication issued by the United Nations Conference on Trade and Development: Geneva, United Nations Publications, 300 East 42nd Street, New York 10017,2019, p26 – 28.

إن أهمية الثروة البترولية في الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي تتعدا كونها أساسا اقتصاديا إلى كونها جزءا من محور إقليمي ألا وهو حوض الشام محور التجاذبات الإقليمية والجيوسياسية شرق المتوسط, والذي يمتد على مساحة (83.000 كم^2) بين ميناء طرطوس السوري شمال شرق باتجاه قبرص غربا وعلى امتداد سواحل لبنان وإسرائيل وقطاع غزة ولغاية سيناء ودلتا النيل جنوبًا وإلى الداخل وسط وشرق فلسطين(51).

إذ يبلغ متوسط احتياطيه من النفط قابل الاستخراج (1.7) مليار/برميل ومتوسط احتياطيه من الغاز الطبيعي (122) تريليون/ قدم^3, أو ما يعادل (5.1%) من إجمالي الاحتياطات العالمية أو ما يغطي بحسب هيئة المسح الجيولوجي الأمريكية احتياجات أوروبا للطاقة لثلاثين عاما، وتقييم ذات المؤسسة للمنطقة عام 2021, الذي أشارت فيه إلى احتوائها على (286.2) تريليون/قدم^3 للغاز بإضافة ثلاثة أحواض جديدة قبالة ساحل مصر أبرزها حقل ظهر للغاز الطبيعي باحتياطات تقدر بـ(30) تريليون/قدم^3 عام 2015(52).

ونظرا لتداخل الحدود الإقليمية للحوض بين أكثر من حدٍ سياسي لكل من: تركيا، وقبرص, وسوريا، ولبنان، وإسرائيل، ومصر, وقطاع غزة, تعددت أوجه الصراع حوله وأخذت أبعادا جيوسياسية واقتصادية وقانونية وأمنية خطيرة، قدَّمت من خلاله إسرائيل نفسها كمحور رئيس للطاقة بين دول الحوض(53). من ثمَّ فإن موقع إسرائيل منتصف الحوض شكَّل عائقا جيوسياسيا تجاه أية حالة للاندماج الاقتصادي أو السياسي أو أية فرصة للتكامل الإقليمي على طرفيها(54).

وعامّة تعد إسرائيل الأنشط بين دول الحوض سواء في تنقيب أو استخراج الغاز الطبيعي, وتؤكد بيانات الجدول (4) تنقيب إسرائيل للعديد من الحقول واستثمار بعضها برغم النزاعات الجدودية مع كل من لبنان والسلطة الفلسطينية(55).

من ثمَّة فإن سيطرة إسرائيل على إجمالي احتياطات تقدر بـ(44.1) تريليون/قدم^3 آل بها على المستوى الإقليمي أن تكون مصدرة رئيسة للغاز إلى دول الجوار الجغرافي بعد أن كانت مستوردة, إذ أقدمت منذ عام 2016 على إمضاء عقد مع شركة (NEPC) الأردنية بقيمة (10.5) مليار/ دولار, وعام 2017 مع شركة (Dolphinus Holdings) المصرية بقيمة

(15) مليار/ دولار, وفي نمو واضح بلغ عام 2022 نحو (22 مليار/م^3) موزعة بين حقل ليفياثان (11.58 مليار/م^3) وحقل تمار (10.2 مليار/م^3), وهذه الكمية كافية لـ(75%) من الاستهلاك المحلي لذات العام, بينما تم تصدير (9.2 مليار/م^3) إلى مصر والأردن, وبمتوسط إيرادات (456.5) مليون/دولار[56].

وعالميًا منحت هذه الاحتياطات إسرائيل بعدا استراتيجيا كبديل للطاقة لدول الاتحاد الأوربي. كما أن توسطها الحوض بامتداد (224)كم شرق المتوسط, وبإمكانات عالية للتطوير والربط البحري إلى موانئ تركيا, يجعل منها محورا رئيسا في خطة الغرب لأمن الطاقة للقرن الواحد والعشرين. لاسيَّما بعد ربط إسرائيل منشآتها للطاقة بما فيها حقليّ غزة بممر النقل بين ميناء إيلات على البحر الأحمر وميناء عسقلان إلى شمال حيفا منذ عام 2018، في مخطط أوسع للارتباط المناطقي عِبر إسرائيل إلى خط أنابيب باكو – تبليسي – جيهان (BTC)[57].

أما أهمية القضية الفلسطينية ومحورية قطاع غزة في الخريطة الجيوسياسية للطاقة شرق المتوسط, فتبرز من خلال موقع القطاع منتصف الحوض وبالقرب من حقول الغاز الطبيعي, بحيث يشكل عائقا جيوسياسيا أمام مخطط إسرائيل للقيام بدور محوري في مجال الطاقة إقليميًا وعالميًا. ومع وجود العقيدة الإسرائيلية الرافضة لحلّ الدولتين أو التعايش السلمي, فإن القضاء على حركة المقاومة الفلسطينية وتهجير سكان قطاع غزة يكونا خيارا جيوسياسيا بالنسبة لها, لاسيَّما بعد تعطل إنتاج حقل تمار للغاز, وتم تعليق الصادرات عِبر خط أنابيب شرق المتوسط البحرية (EMG) إلى مصر, وانخفض على المستوى العام الإنتاج بنسبة (35%) والصادرات بنسبة (70%) بعد انطلاق عملية طوفان الأقصى[58].

مضافًا إلى أن تمكين الفلسطينيين من ثرواتهم البترولية سيشكل موردا حيويا وأساسا اقتصاديا ويؤسس لمجتمع ذات سيادة وقابل للحياة, وهو بالضد تماما من الإيديولوجية الصهيونية واتجاه اليمين المتطرف بل والتوجه العام للشعب اليهودي. وحيث أن لا فرصة لحل سياسي أو

جدول (4) حقول النفط والغاز التي تهيمن عليها إسرائيل وأهم القوى المتنازعة عليها.

الحقل	تاريخ الاكتشاف	الموقع	ملكية الحقل	تاريخ الانتاج	التقديرات: تريليون/قدم^3
ماري بي	2000	قبالة ساحل غزة	متنازع عليه مع الفلسطينيين	2004	1.1
نوا	1999	قبالة ساحل غزة	متنازع عليه مع الفلسطينيين	2012	3
تمار	2009	غرب حيفا (90)كم	متنازع عليه مع لبنان	2013	8.4
ليفياثان	2010	غرب حيفا (130)كم	متنازع عليه مع لبنان	2019	18
الداليت	2012	جنوب تمار (40)كم	متنازع عليه مع لبنان		0.53
سارة وميرا	2011	قبالة الأراضي المحتلة شمالا (40)كم	متنازع عليه مع لبنان		7 – 6
شمشون	2012	قبالة الأراضي المحتلة	مختلف عليه مع مصر		0.6

		شمالا (40)كم		ولبنان		
تنين أو خزان التمساح	2012	قبالة حيفا (110)كم		متنازع عليه مع لبنان		1.1
حقل كاريش (القرش)	2013	قبالة حيفا (75)كم		متنازع عليه مع لبنان		1.3
حقل روبي	2014	قبالة ساحل غزة		متنازع عليه مع الفلسطينيين		2.8

Sources: Lydia de Leeuw. Joseph Wilde-Ramsing, Beneath troubled waters Noble Energy's exploitation of natural gas in the Eastern Mediterranean Sea, Stichting Onderzoek Multinationale Ondernemingen, Centre for Research on Multinational Corporations, Sarphatistraat 30, 1018 GL Amsterdam, The Netherlands, 2017, p6-7.

تعايش سلمي فإن خيار المقاومة يبدو خيارا أوحدا للشعب الفلسطيني, لاسيَّما مع تعاظم احتمالية وجود حقول جديدة للنفط في المناطق الفلسطينية والمناطق المشتركة غرب رام الله وحقول مشتركة للنفط والغاز جنوب الخليل وبين مدينتي قلقيلية واللطرون.

نخلص مما تقدم: إن سياسات القمع والإقصاء وسلسلة الإجراءات التي تمارسها إسرائيل تجاه السكان الفلسطينيين, من مصادرة وتدمير الأصول والممتلكات, والضغط الاقتصادي والمعاشي بمصادرة الثروات الوطنية من أراضٍ زراعية ومصادر المياه وثروات بترولية, والضغط باتجاه حلات عدم الاستقرار الاجتماعي والتهجير القسري للسكان.

فضلًا عن إجراءات العزل الحدودي عن الأسواق الدولية والمجاورة, والتحكم في السياسة النقدية الفلسطينية في سوق محلية مجزأة. وفرض الرسوم الجمركية وضرائب الدخل والقيمة المضافة على القوى الفلسطينية العاملة في إسرائيل, بحيث تشير تقديرات الأونكتاد إلى خسارة الفلسطينيين لأكثر من (47.7) مليار/ دولار من الإيرادات المالية لصالح إسرائيل للمدة 2007-2017، بما فيها الفوائد المتراكمة والإيرادات المتسربة. كل ذلك أدى إلى ترك أكثر من نصف سكان القطاع يقبع تحت خط الفقر[59].

جميع ذلك شكَّل دوافعا جيوسياسية لانتفاضات الشعب الفلسطيني وخلق الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية لانطلاق عملية طوفان الأقصى وإذما عاينّا أن الإيديولوجية الصهيونية المتطرفة تجاه أرض فلسطين وسكانها ليست عقيدة سياسية لدى زعماء إسرائيل وساستها, وإنما هي توجه عام ورأي سائد في إسرائيل, إذ اكدت الحرب على غزة والممارسات في ذات الوقت تجاه الضفة, إنَّ مجتمع إسرائيل مجتمع متصهين وإنَّ الإيديولوجية الصهيونية منطلق مواقفها وممارساتها تجاه السكان الفلسطينيين بما لا يترك مجالًا للتعايش السلمي ولا غير النزوح أو المقاومة المسلحة وتطوير أساليبها وأدواتها خيارا أوحدا.

الاستنتاجات:

1 – شكَّلت المعتقدات الدينية والإيديولوجية الصهيونية مداخلَ رئيسة لعقيدة وممارسات ساسة وشعب إسرائيل تجاه الأراضي والسكان الفلسطينيين, وبالتالي في استمرار وتجدد الصراع وتطوره في عملية طوفان الأقصى 2023/10/7.

2 – يشكَّل الصراع حول الحيّز الجغرافي وهُويته وموارده الطبيعية جوهر الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي, واعتمادها إسرائيل ذات السياسات لأكثر من قرن من الزمان شكَّل ضغطا مباشرا ودافعا كبيرا لتجدد الصراع ودفعه باتجاه عملية طوفان الأقصى.

3 – عطفًا على ما تقدم تفرض مواجهة إسرائيل تطوير المقاومة أسلوبا أوحدا للشعب الفلسطيني للإبقاء على خريطته الجغرافية والسكانية الحالية وإصابة شيئا من حقوقه في موارده الطبيعية, وأبعد من ذلك في إحراز المكاسب وتعديل الخريطة الجيوسياسية لفلسطين, لاسيَّما بعد رفض إسرائيل حلَّ الدولتين أو أية سياسة تجاه التعايش السلمي مع الفلسطينيين.

4 – حيث يرتبط نجاح المشروع الصهيوني بتوافد الهجرة اليهودية وتوطين المهاجرين, وكلاهما يرتبط بالوضع الأمني والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي لإسرائيل, فإذما نجحت المقاومة بخلق بيئة داخلية مضطربة طاردة ورأي عام بين اليهود بالتهديد الدائم وعدم جدوى سياسات إسرائيل, فحينئذٍ ستمكن من الحد من تدفقات الهجرة وربما عكسها, كما حدث بعد الانسحاب من لبنان عام 2000 وانتفاضة الأقصى عام 2005 وعام 2007 وعام 2009, وأشدها الهجرة والنزوح السكاني الحالي إثر عملية طوفان الأقصى.

5 – تعد الحرب بين إسرائيل وحركة المقاومة حماس الآن من أعقد وأخطر الحروب الفلسطينية – الإسرائيلية, إذ يمثّل صمود المقاومة وبقاء الشعب الفلسطيني في قطاع غزة انتصار استراتيجيا لها وتغييرا توازنات القوى على الخريطة الجغرافية السياسية للمنطقة, بينما يمثّل تهجير سكان قطاع غزة خيارا استراتيجيا لإسرائيل وطريقا أوحدا لإنفاذ مخططاتها الإقليمية.

6 – يتعين على الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية التصعيد تجاه إسرائيل ومحاولة محاصرتها بين أكثر من جبهة, لاسيّما مع استمرار الضغط العسكري على الجهة اللبنانية واليمنية, وبالتالي دفعها لإنهاء الحرب ذلك أن الخطوة التالية لإسرائيل حال نجاحها في تهجير قطاع غزة هي تهجير الضفة الغربية وشن الحرب على جنوب لبنان.

الهوامش:

1 – هيرودوت, تاريخ هيرودوت, المجمع الثقافي, ابو ظبي, 2001, ص219.
2 – Saed Jamal Abu-Hijleh, The political geography of a Palestinian state: Main problems of implementation, Degree Master of Arts, University of Northern Iowa, United States, 1995, p3-4.
3 – Bar-Eli A, Zeno L, Cohen and Zemah Y. Largest natural gas reserve. Haaretz . Nov 4, 2017.
4 – Mohammed Haddad, Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley, 2020, p26.
https://www.aljazeera.com/news/2020/6/26/palestine-and-israel-mapping-an-annexation#recognise
5 – عبد الوهاب الكيالي, تاريخ فلسطين الحديث, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, 1990, ص29.
6 – عبد الوهاب محمد المسيري, الإيديولوجية الصهيونية, عالم المعرفة, الكويت, 1982, ص73.
7 – المصدر نفسه, ص104.
8 – https://2u.pw/CPKb1UI
9 – Ruth Esther Schwarz, The impact of religion on political decision-making in the Israeli-Palestinian conflict: Debating Judaism and Zionism, Thesis submitted as partial requirement for the conferral of Master in International Studies, Instituto Universitário de Lisboa, Portugal, 2018, p8.
10 – Ibid. p35.
11 – Leah Temper, Creating Facts on the Ground: Agriculture in Israel and Palestine (1882-2000), Historia Agraria, Agosto 48. 2009, p81.
12 – Saed Jamal Abu-Hijleh, op.cit, p9.
13 – عايش أحمد قاسم, الصراع الديموغرافي الفلسطيني الإسرائيلي 2000 – 2030, رسالة ماجستير (غ،م), جامعة غزة, فلسطين, 2012, ص35.
14 – نجيب نصَّار, الصهيونية ملخص تاريخها غاياتها وامتدادها حتى سنة 1905, مؤسسة هنداوي, المملكة المتحدة, 2014, ص20.
15 – عبد الوهاب المسيري, تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وازمته, دار الشروق, القاهرة, 2010.
16 – عثمان عثمان, دراسات فلسطينية, مطبعة النصر, نابلس, 2011, ص36.
17 – عايش أحمد قاسم, مصدر سابق, ص36.

18 – سي روس انتوني; , دانيل إينجل; , تشار لز بي ريس; , ماري إي فايانا, تكاليف الصراع الاسرائيلي الفلسطيني, مؤسسة رند, كاليفورنيا, 2015, ص15.
19 – Adina Renner, Alexandra Kohler, Anja Lemcke and Inga Roggr, (9 October, 2023). International View How the political maps of Israel and Palestine have changed? https://www.nzz.ch/english/israeli-palestinian-conflict-how-the-political-maps-have-changed-ld.1664125
20 – نبيل الصالح, المجتمع والتركيب السكاني, من كتاب دليل إسرائيل العام, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, 2020.
21 – Jan Schneider, Historical development of Jewish immigration, Bundeszentrale fur politische Bildung, 11 6l 2008.
22 – بايرون كوتزامانيس, أطلس الهجرة, الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني, رام الله/ فلسطين, 2021, ص176.
23 – المصدر نفسه, ص2.
24 – عبد الوهاب المسيري, موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية, دار الشروق, القاهرة, 1999.
25 – Adina Renner, op.cit.
26 – Ibid.
27 – Leah Temper, op.cit.
28 – Encyclopaedia Britannica, Six-Day War Middle East [1967], UNITED NATIONS, New York, 2024.
29 – Adina Renner, Alexandra Kohler, Anja Lemcke and Inga Roggr, op.cit.
30 – Encyclopaedia Britannica, Six-Day War Middle East [1967], United Nations, New York, 2024.
31 – The Applied Research Institute-Jerusalem (ARIJ), Status of the Environment in the state of Palestine 2015, Bethlehem, 2015.
32 – Khadija Asmar, The impact of the Israeli Separation Wall on Palestinian livelihoods in the West Bank, A Thesis Submitted to the College of Humanities, Arts and Social Sciences, Adelaide, Flinders University, p 16.
33 – الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني, أداء الاقتصاد الفلسطيني 2020, رام الله/ فلسطين, 2021.
34 – Encyclopaedia Britannica, op.cit.
35 – Khadija Asmar, op.cit. p18.
36 – Encyclopaedia Britannica, op.cit.

37 – Suhad Bishara, Rina Rosenberg, Land Rights and the Indigenous Palestinian Arab Citizens of Israel: Recent Cases in Law, Land and Planning, (Adalah) the legal center for arab minority rights in Israel, Israel, 2004.
38 – Adina Renner, Alexandra Kohler, Anja Lemcke and Inga Roggr, op.cit.
39 – راسم محي الدين خمايسي, الأرض والتخطيط والعمران, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, 2021, ص9.
40 – رائف زريق, إسرائيل خلفية أيديولوجية وتاريخية, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, 2021, ص34.
41 – عماد أبو عواد, ماذا تعرف عن الزراعة الإسرائيلية؟, 16/ 3/ 2020.
https://alqudscenter.info/articles
42 – Mohammed Haddad, op.cit.
43 – The Applied Research Institute - Jerusalem (ARIJ), op.cit. p41.
44 – Jayasurya Kalakkal, Peter Gilruth; Gyde Lund; Elizabeth Kironde, State of Environment and Outlook Report for the occupied Palestinian territory, United Nations Environment; Sciences Po Paris, 2020, p67.
45 – Alexandra Kohler, Anja Lemcke, Inga Roggr and Adina Renner, International View How the political maps of Israel and Palestine have changed, 9l Octoberl 2023, p65.
https://www.nzz.ch/english/israeli-palestinian-conflict-how-the-political-maps-have-changed-ld.1664125
46 – The Applied Research Institute-Jerusalem (ARIJ), p42. op.cit.
47 – United Nations Development Programme; UNDP/PAPP, Occupied Palestinian Territory, The Palestinian Policy Network, 2017.
48 – Mahmoud Elkhafif, Palestine's forgotten oil and gas resources, 21l 6l 2021.
https://www.aljazeera.com/opinions/2021/6/21/palestines-forgotten-oil-and-gas-resources
49 – رنيم علي جمال الدين, الصراعات الدولية والإقليمية على الغاز الطبيعي بمنطقة شرق المتوسط (2009 – 2019), لمجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية/ جامعة الاسكندرية, المجلد7, العدد 14, 2022, ص576.
50 – the United Nations Conference on Trade and Develop, The Economic Costs of the Israeli Occupation for the Palestinian People: The Unrealized Oil and Natural Gas Potential, Geneva and New York, United Nations Publications, 2019, p20.

51 – Noble Energy website, Communities: Eastern Mediterranean, 1 March 2017.
http://responsibility.nobleenergyinc.com/eastern-mediterranean
52 – سوليكا علاء الدين, حرب الغاز في غزة بين الواقع والتضخيم الإعلامي, مجلة الاقتصاد والأعمال, 1/ 12/ 2023.
53 – Joseph Wilde, Lydia de, Leeuw Ramsing, Beneath troubled waters Noble Energy's exploitation of natural gas in the Eastern Mediterranean Sea, Centre for Research on Multinational Corporations, Amsterdam, The Netherlands, 2017, p2-3.
54 – United Nations Development Programme; UNDP/PAPP, op.cit.
55 – Bar-Eli A, Zeno L, Cohen and Zemah Y, op.cit.
56 – سوليكا علاء الدين, مصدر سابق.
57 – the United Nations Conference on Trade and Develop, op.cit, p25.
58 – سوليكا علاء الدين, مصدر سابق.
59 – Mahmoud Elkhafif, op.cit.

قائمة المصادر:

1. أبو عواد عماد, ماذا تعرف عن الزراعة الإسرائيلية؟, 16/ 3/ 2020.
2. انتوني سي روس وإينجل دانيل وريس تشار لز بي وفايانا ماري إي, تكاليف الصراع الاسرائيلي الفلسطيني, مؤسسة رند, كاليفورنيا, 2015.
3. جمال الدين رنيم علي, الصراعات الدولية والإقليمية على الغاز الطبيعي بمنطقة شرق المتوسط (2009 – 2019), المجلة العلمية لكلية الدراسات الاقتصادية والعلوم السياسية/ جامعة الاسكندرية, المجلد7, العدد 14, 2022.
4. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني, أداء الاقتصاد الفلسطيني 2020, رام الله/ فلسطين, 2021.
5. خمايسي راسم محي الدين, الأرض والتخطيط والعمران, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, 2021.
6. زريق رائف, إسرائيل خلفية أيديولوجية وتاريخية, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, 2021.
7. الصالح نبيل, المجتمع والتركيب السكاني, من كتاب دليل إسرائيل العام, مؤسسة الدراسات الفلسطينية, بيروت, 2020.
8. عثمان عثمان, دراسات فلسطينية, مطبعة النصر, نابلس, 2011.
9. علاء الدين سوليكا, حرب الغاز في غزة بين الواقع والتضخيم الإعلامي, مجلة الاقتصاد والأعمال, 1/ 12/ 2023.
10. قاسم عايش أحمد قاسم, الصراع الديموغرافي الفلسطيني الإسرائيلي 2000 – 2030, رسالة ماجستير (غ،م), جامعة غزة, فلسطين, 2012.

11.كوتزامانيس بايرون, أطلس الهجرة, الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني, رام الله/ فلسطين, 2021.
12.الكيالي عبد الوهاب, تاريخ فلسطين الحديث, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, 1990.
13.المسيري عبد الوهاب محمد, الإيديولوجية الصهيونية, عالم المعرفة, الكويت, 1982.
14.المسيري عبد الوهاب, تاريخ الفكر الصهيوني جذوره ومساره وازمته, دار الشروق, القاهرة, 2010.
15.المسيري عبد الوهاب, موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية, دار الشروق, القاهرة, 1999.
16.نصَّار نجيب, الصهيونية ملخص تاريخها غاياتها وامتدادها حتى سنة 1905, مؤسسة هنداوي, المملكة المتحدة, 2014.
17.هيرودوت, تاريخ هيرودوت, المجمع الثقافي, ابو ظبي, 2001.
18 – Abu-Hijleh Saed Jamal , The political geography of a Palestinian state: Main problems of implementation, Degree Master of Arts, University of Northern Iowa, United States, 1995.
19 – Bar-Eli A, Zeno L, Cohen and Zemah Y. Largest natural gas reserve. Haaretz . Nov 4, 2017.
20 – Haddad Mohammed, Palestine and Israel: Mapping an annexation, What will the maps of Palestine and Israel look like if Israel illegally annexes the Jordan Valley, 2020.
21 – https://2u.pw/CPKb1UI
22 – Schwarz Ruth Esther, The impact of religion on political decision-making in the Israeli-Palestinian conflict: Debating Judaism and Zionism, Thesis submitted as partial requirement for the conferral of Master in International Studies, Instituto Universitário de Lisboa, Portugal, 2018.
23 – Temper Leah, Creating Facts on the Ground: Agriculture in Israel and Palestine (1882-2000), Historia Agraria, Agosto 48. 2009.
24 – Schneider Jan, Historical development of Jewish immigration, Bundeszentrale fur politische Bildung, 11 6l 2008.
25 – Renner Adina, Alexandra Kohler, Anja Lemcke and Inga Roggr, International View How the political maps of Israel and Palestine have changed, 9 October. 2023.
26 – Encyclopaedia Britannica, Six-Day War Middle East [1967], United Intentions, New York, 2024.
27 – The Applied Research Institute-Jerusalem (ARIJ), Status of Environment in the state of Palestine 2015, Bethlehem, 2015.

28 – Asmar Khadija, The impact of the Israeli Separation Wall on Palestinian livelihoods in the West Bank, A Thesis Submitted to the College of Humanities, Arts and Social Sciences, Adelaide, Flinders University.
29 – Bishara Suhad, Rina Rosenberg, Land Rights and the Indigenous Palestinian Arab Citizens of Israel: Recent Cases in Law, Land and Planning, (Adalah) the legal center for arab minority rights in Israel, Israel, 2004.
30 – Jayasurya Kalakkal, Peter Gilruth; Gyde Lund; Elizabeth Kironde, State of Environment and Outlook Report for the occupied Palestinian territory, United Nations Environment; Sciences Po Paris, 2020.
31 – United Nations Development Programme; UNDP/PAPP, Occupied Palestinian Territory, The Palestinian Policy Network, 2017.
32 – Elkhafif Mahmoud, Palestine's forgotten oil and gas resources, 211 6l 2021.
33 – the United Nations Conference on Trade and Develop, The Economic Costs of the Israeli Occupation for the Palestinian People: The Unrealized Oil and Natural Gas Potential, Geneva and New York, United Nations Publications, 2019.
34 - Noble Energy website, Communities: Eastern Mediterranean, 1 March 2017.
35 – Joseph Wilde, Lydia de, Leeuw Ramsing, Beneath troubled waters Noble Energy's exploitation of natural gas in the Eastern Mediterranean Sea, Centre for Research on Multinational Corporations, Amsterdam, The Netherlands, 2017.